

الوسائل التعليمية في السنة النبوية

"دراسة فقهية مقارنة"

د. وجيه عبد القادر شعبان الشيمي (*)



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم المرسلين، زعيم وقائد وإمام المتقين ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته واهتدى بهداه إلى يوم الدين وبعد

لقد أحاط المسلمون العلم عامة والعلم الديني بصفة خاصة بهالة من القداسة واعتبروه أفضل الأشياء في الوجود وأسمائها حتى لقد قالوا: إن إفادة العلم أشرف المقامات بعد النبوة وإن العلماء يشفعون للناس يوم القيامة بعد الأنبياء، والعلم في نظر المربين المسلمين غذاء للروح والعقل وبه يزداد فهم الإنسان وقدرته على الإدراك كما يؤدي إلى تقوية الإرادة والتغلب على القوى الشهوانية أو البهيمية التي لا تتفق مع العقل أو النفس الناطقة، وعن طريق العلم غميز الغث من الثمين والخير من الشر، فبدون العلم يبقى الناس في عمى عن سبل الرشاد، ويضلون الطريق للوصول إلى السعادة في دار البقاء على أن المسلمين لا يكتفون بمجرد العلم لتحقيق الغرض المطلوب، وإنما ينبهون دائما بضرورة العمل مع العلم والمعرفة .

(*) مدرس الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة الفيوم

ولقد اهتم النبي ﷺ بطريقة إلقاء العلم على أصحابه
عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا، يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ
بَيِّنَةٍ فَصْلٌ يَحْفَظُهُ مَنْ سَمِعَهُ"^(١).

قال جابر بن عبد الله يقول: "كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل وترسيل"^(٢).
وإني في هذا البحث أبين كيف استطاع النبي ﷺ أن يعلم أصحابه وأن يريهم
باستخدام وسائل جديدة ترسخ المعلومة وتثبت الفكرة في ذهن المتلقي وترسي
المبادئ الخلقية والسلوك القويم في نفوس أصحابه ﷺ.
ومن هذه الوسائل:

- ١- التعليم من خلال المثل.
- ٢- التعليم من خلال إثارة السؤال.
- ٣- التعليم من خلال القصة.
- ٤- التعليم من خلال التكرار.
- ٥- التعليم من خلال الحدث.
- ٦- الإشارة.

ولست أزعم أن هذه كل الوسائل التي استخدمها النبي ﷺ وإن كنت أؤكد أن
هذه من أهمها، ولذا سيشتمل هذا البحث على ستة مباحث، يتناول كل مبحث
وسيلة من هذه الوسائل من خلال عدد من الأحاديث التي تدلل على استعمال
النبي ﷺ لهذه الوسيلة، ثم شرح الحديث مستعينا في ذلك بكتب شروح الحديث
ومبينا الفوائد التي نستفيدها من الحديث النبوي.
وهدي من ذلك:

بيان حكمة النبي ﷺ وطريقته في تعليم أصحابه وكيف أنه سبق الدراسات
التربوية الحديثة في هذا الميدان.

(1) مسند الإمام أحمد ج ٦ ص ٢٥٧ مؤسسة قرطبة مصر د.ت واللفظ من تذكرة الحفاظ لمحمد بن
طاهر القيسراني ت ٥٠٧ ج ٣ ص ١٠٥٦ دار الصميعي الرياض ١٤١٥ ط الأولى، تحقيق
حمدي عبد المجيد اسماعيل السلفي

(2) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع ج ١ ص ٣٧٥ دار صادر بيروت

والله أسأل أن يوفقني لإتمام هذا العمل وأن يرزقني الإخلاص والصواب وأن يجعله من العلم الذي يتفنع به بعد الممات، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول: التعليم بالمثل

تمهيد:

اهتمت آيات القرآن والأحاديث النبوية بضرب الأمثال، وكان الهدف منها أخذ العبرة والعظة لأولي العقول السليمة، والأبصار النيرة قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت ٤٣).

والمثل تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، كقوله تعالى في حق المنافقين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧) ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٨) أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْٓ أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١٩) يَكَاذُ الْبَرَقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ١٧ : ٢٠)

"فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين مثلاً نارياً ومثلاً مائياً لما في النار ظاهراً من الإضاءة والإشراق والحياة فإن النار مادة النور ظاهراً ومادة الإحراق باطناً، وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزله من السماء متضمناً لحياة القلوب واستنارتها، ولهذا سماه روحاً ونوراً وجعل قابليه أحياءاً في النور، ومن لم يرفع

به رأسا أمواتا في الظلمات، وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي، وأنهم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له ويتنفع بها، وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام فاستضاءوا به وانتفعوا به وآمنوا به وخالطوا المسلمين، ولكن لما لم يكن لصحبته مادة من قلوبهم من نور الإسلام طفق عنهم، وذهب الله بنورهم ولم يقل بنارهم فإن النار فيها الإضاءة والإحراق فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق، وتركهم في ظلمات لا يبصرون فهذا حال من أبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه فهو لا يرجع، ولهذا قال فهم "لا يرجعون".

ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي فشبههم بأصحاب صيب وهو المطر الذي يصب أي ينزل من السماء، فيه ظلمات ورعد وبرق، فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه وخطابه الذي يشبه الصواعق، فحالم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فلضعفه وخوره جعل إصبعيه في أذنيه وغمض عينيه خشية من صاعقة نصيبه، وكذلك المشركون على اختلاف شركهم إذا جرد لهم التوحيد وتليت عليهم النصوص المبطللة لشركهم اشمأزت قلوبهم وثقلت عليهم ولو وجدوا السبيل إلى سد آذانهم لفعلوا، ولذلك تجد أعداء أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا نصوص الثناء على الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله ﷺ ثقل ذلك عليهم جدا وأنكرته قلوبهم، وهذا كله شبه ظاهر ومثل محقق من إخوانهم من المنافقين في المثل الذي ضربه الله لهم بالماء فإنهم لما تشابهت قلوبهم تشابهت أعمالهم^(١).

وقد اتبع النبي ﷺ أسلوب القرآن في ضرب الأمثال في توضيح الصورة وتأكيد الفكرة، ومن ذلك ما يأتي:

(1) إعلام الموقعين ج ١ ص ١٩٦: ١٥٠ بتصرف طدار الحديث القاهرة د. ت

١- عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا؟ فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا ارَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»^(١).

وفي رواية الترمذي: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْمُدْهِنِ فِيهَا» بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر الهاء وبالنون والمراد به من يرأى ويضيع الحقوق ولا يغير المنكر والمدهن والمداهن واحد^(٢).

ويتحصل من مجموع هذه الروايات أن النبي ﷺ قسم الناس ثلاثة أصناف قوم قائمون على حدود الله منفذون أحكامه مؤتمرون بأوامره منتهون عن نواهيهم، وقوم يعصون الله ولا يطيعون وهؤلاء هم الواقعون، والصنف الثالث يداهنون فلا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكراً وهم في ذلك يقصدون مراعاة الواقعين في حدود الله، ولا ينجو من هذه الأصناف إلا الصنف الأول، وهم الذين يسرون على منهج الله ويدعون الآخرين إليه ويقضون حياتهم في النصيحة والإرشاد، لأنهم يعلمون أن الدين النصيحة كما أنهم يعلمون أن صمام الأمان لهم أن يأخذوا بأيدي إخوانهم وهذا هو الهدف التعليمي الذي أرادته ﷺ من هذا المثل فشبّه الناس في دنياهم وكأنهم في سفينة واحدة فمن أفسد في هذه السفينة أو تسبب في إغراقها فإنها تهلك بهم جميعاً إلا إذا حاول أهل الصلاح مع المفسدين حتى يعودوا إلى رشدهم وهذا معنى قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ

(1) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (٢٤٩٣)، ص ٤٧١ دار الأفكار الدولية للنشر

(2) تحفة الأحمدي ج ٦، ص ٣٢٧

ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴿ (الأنفال ٢٥)، وهذا أيضا سر خيرية هذه الأمة ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران ١١٠).

قال ابن حجر (ت ٨٥٢): "وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها. قال المهلب وغيره: في هذا الحديث تعذيب العامة بذنب الخاصة وفيه نظر، لأن التعذيب المذكور إذا وقع في الدنيا على من لا يستحقه فإنه يكفر من ذنوب من وقع به أو يرفع من درجته^(١).

وفيه تبين العالم الحكم بضرب المثل ووجوب الصبر على أذى الجار إذا خشي وقوع ما هو أشد ضررا، وأنه ليس لصاحب السفلى أن يحدث على صاحب العلو ما يضر به وأنه إن أحدث عليه ضررا لزمه إصلاحه، وأن لصاحب العلو منعه من الضرر، وفيه جواز قسمة العقار المتفاوت بالقرعة وإن كان فيه علو وسفل^(٢)

والفرق بين المداينة المنهية والمداينة المأمورة أن المداينة في الشريعة أن يرى ذنبا ويقدر على دفعه ولم يدفعه حفظا لجانب مرتكبه أو جانب غيره لخوف أو طمع أو لاستحياء منه أو قلة مبالاة في الدين، والمداينة موافقته بترك حظ نفسه وحق يتعلق بماله وعرضه فيسكت عنه دفعا للشر ووقوع الضرر^(٣).

ولقد ضرب الله مثلا لهذه الأصناف الثلاثة من بني إسرائيل:

قال ابن عباس: إن الله إنما افترض على بني إسرائيل اليوم الذي افترض

(١) لا يؤاخذ الإنسان إلا بعمله قال تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) وقال تعالى (ولا

تزر وزارة وزر أخرى) وإنما يعاقب الإنسان إذا فرط في إنكار المنكر ولو بالقلب

(٢) فتح الباري لأحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢) ج ٥ ص ٢٩٥٢ المطبعة السلفية ١٣٧٩ هـ

(٣) تحفة الأحوذى ج ٦ ص ٨٨٢

عليكم في عيدكم يوم الجمعة فخالفوا إلى السبت فعظموه وتركوا ما أمروا به فلما أبوا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره وكانوا في قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين فحرم الله عليهم في السبت الحيتان صيدها وأكلها، وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعا إلى ساحل بجرهم حتى إذا ذهب السبت ذهبن فلم يروا حوتا صغيرا ولا كبيرا حتى إذا كان يوم السبت أتين سرا، حتى إذا ذهب السبت ذهبن فكانوا كذلك حتى طال عليهم الأمد وقرموا إلى الحيتان عمد رجل منهم فأخذ حوتا سرا يوم السبت فخرمه بخيط ثم أرسله في الماء وأوتد له وتدا في الساحل فأوثقه ثم تركه حتى إذا كان الغد جاء فأخذه، أي إنني لم أخذه في يوم السبت فانطلق به فأكله حتى إذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك ووجد الناس ريح الحيتان فقال أهل القرية والله لقد وجدنا ريح الحيتان ثم عثروا على صنيع ذلك الرجل، قال ففعلوا كما فعل وصنعوا سرا زمانا طويلا لم يعجل الله حتى صادوها علانية وباعوها في الأسواق فقالت طائفة منهم من أهل البقية ويحكم اتقوا الله ونهوه عما كانوا يصنعون، فقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان ولم تنه القوم عما صنعوا ﴿لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا^١ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا^٢ قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (الأعراف ١٦٤)، قال ابن عباس: فبينما هم على ذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم فقدوا الناس فلم يروههم قال فقال بعضهم لبعض: "إن للناس شأنا فانظروا ما هو فذهبوا ينظرون في دورهم فوجدوها مغلقة عليهم قد دخلوها ليلا فغلقوها على أنفسهم كما يغلق الناس على أنفسهم فأصبحوا فيها قردة وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد والمرأة بعينها وإنها لقردة والصبي بعينه وإنه لقرد " قال ابن

عباس: فلولا ما ذكر الله أنه نجى الذين نهوا عن السوء لقد أهلك الله الجميع منهم^(١).

ولقد حكى القرآن عن هذه الأصناف الثلاثة في سورة الأعراف قال تعالى ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِّنْهُمْ لِمَ نَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِمُ أَغْنَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ (الأعراف ١٦٣-١٦٦)

فهذه الأصناف الثلاثة الذين تحدث عنهم الآيات وهم القائمون على حدود الله الذين يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، نجاهم الله عز وجل - والواقعون في حدود الله المخالفون لأوامره، أخذهم الله بعذاب بئس، وأما الفرقة الثالثة وهم الذين لم يخالفوا الأمر ولم ينهوا عن المنكر بل سكتوا عن الحق فسكت الله عنهم، لأن الجزء من جنس العمل.

قال القرطبي ت (٦٧١ هـ): قالت فرقة: إن الطائفة التي لم تنه ولم تعص هلكت مع العاصية عقوبة على ترك النهي قاله ابن عباس. وقال أيضا: ما أدري ما

(١) تفسير القرآن لابن كثير ج ١ ص ١٠٧.

فعل بهم وهو الظاهر من الآية^(١)

يتبين من هذا العرض ما يأتي:

أ- إن الطريق المستقيم الذي يؤدي للنجاة أن يصلح الإنسان نفسه ويصلح غيره ولذا اهتم القرآن والسنة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران ١٠٤)

قال أبو سعيد الخدري سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢)

قال الجصاص: "فأخبر النبي ﷺ أن إنكار المنكر على هذه الوجوه الثلاثة على حسب الإمكان، ودل على أنه إذا لم يستطع تغييره بيده فعليه تغييره بلسانه، ثم إذا لم يمكنه ذلك فليس عليه أكثر من إنكاره بقلبه"^(٣).

٢ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْعَائِدُ فِي هَيْبَةٍ كَالْعَائِدِ فِي قَيْبَةٍ»^(٤). هذا الحديث يدل على أمرين، الأول مشروعية الهبة، الثاني: تحريم

(1) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ج ٤ ص ٢٧٤٣ ط دار الريان للتراث القاهرة د.ت

(2) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان....، برقم (٤٩).

(3) أحكام القرآن للجصاص أحمد بن علي الرازي ت ٣٧٠ هـ ج ٢ ص ٣٠ دار الفكر القاهرة (د.ت)

(4) البخاري في الهبة باب "لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته" (٢٦٢١) مع الفتح ج ٥ ص ٢٣٤ ومسلم واللفظ له كتاب الهبات باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا

الرجوع في الهبة، وهذا المعنى هو المقصود الأصلي الذي سيق من أجل الحديث

أولاً: تعريف الهبة

الهبة في اللغة:-

الهبة: العطية الخالية عن الأعراض والأغراض، فإذا كثرت سمي صاحبها وهاباً

الإستيهاب: سؤال الهبة ، الإتهاب قبول الهبة^(١).

ومن هذه المادة هبوب الريح، ويبدو أن الجامع بينهما الكثرة والتتابع، قال

العلامة منصور البهوتي (الهبة من هبوب الريح، أي مروره، يقال: وهبت له شيئاً

وهباً، بإسكان الهاء وفتحها وهبة).

وفي الاصطلاح الشرعي: عرفها فقهاء الأحناف والمالكية والشافعية

بأنها (تليك المال بلا عوض)^(٢).

وهناك مصطلحات أخرى كالصدقة، والهدية، والعطية، فهي معانٍ متقاربة،

وإن كان الفقهاء قد وضعوا فروقاً بين تلك المصطلحات، فما قصد به وجه الله

فصدقة، وما قصد به التودد للمخلوق، فهدية.

قال ابن قدامة " فالظاهر أن من أعطى شيئاً يتقرب به إلى الله تعالى للمحتاج

فهو صدقة، ومن دفع إلى إنسان شيئاً للتقرب إليه، والمحبة له فهو هدية، فإن النبي

ما وهبه لولده وإن سفل "٤٠٩٣" مع شرح النووي محيي الدين يحيى بن زكريا النووي، ج ٥

ص ٣٧٦، تحقيق د. عبد المعطى أمين القلعجي، ط. دار الغد العربي، ١٩٨٧م

(١) لسان العرب لأبى الفضل جمال الدين محمد منظور الأفرقي المصري، مادة وهب جـ ١ ص

٨٠٣، نط دار صادر بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

(٢) الروض المربع شرح زاد المستتفع، ومختصر المقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني،

المتن: للعلامة شرف الدين أبى النجار موسى بن أحمد بن موسى المقدسى الحجاوى، والشرح

للعلامة منصور بن يونس البهوتي، ج ١ ص ٣٤١ المطبعة السلفية ومكتبتها، بالقاهرة ط الثالثة

ﷺ كان يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، واسم العطية شامل لهذا كله).

وقد ذهب البهوتي إلى أن اسم العطية يطلق على الهبة في مرض الموت^(١).

ثانياً: الرجوع في الهبة وحكمه:

إن للهبة طبيعة تختلف عن طبيعة عقود المعاوضات وذلك لأن طرفي الهبة منهما المتفضل على الآخر والثاني متفضل عليه، لذا أراد النبي ﷺ حماية هذه المعاملة مما يفسدها، لأن الواهب إذا رجع في هبته لا يستطيع الموهوب له أن يتمسك بتلك الهبة، لأنه لم يعوض الواهب بشيء، والنبي ﷺ يعلم مدى حب الناس للمال قال تعالى: ﴿وَتَحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر ٢٠)؛ ولهذا كله جاء الزجر عن الرجوع في الهبة أو الصدقة بهذا التصوير الرائع وذلك التشبيه التمثيلي الذي يوقع في النفس بغض ذلك الصنيع، فالراجع في هبته يشبه الخيوان وليس أي حيوان إنه الكلب، ويشبه النبي ﷺ حالة الرجوع في الهبة بأبشع المناظر وأقذرها إنها صورة الكلب وهو يقيء ويرجع في قيئه، إنها صورة تأنف منها الطباع السليمة وتنفر منها النفوس المستقيمة ويستقذرها أولوا الألباب وأصحاب الإحساس المرفه.

ومن هذا يتبين أن استعمال النبي ﷺ لهذا المثل في غرس كره هذا الفعل الذميم وهو الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض.

وتتجلى بلاغة النبي ﷺ في هذا التصوير الفني حيث يستعمل الأفعال المضارعة (يرجع - يقيء - يعود - يأكله) والفعل المضارع يساعد على استحضار الصورة أمام المستمع حتى كأنه يراها ليتزايد استبشاع المستمع لهذا الخلق الذميم فأعظم بالنبي ﷺ معلما ومربيا.

قال النووي في شرحه للحديث: "هذا ظاهر في تحريم الرجوع في الهبة بعد

(١) الروض المربع ج ١ ص ٣٤١.

إقباضها وهو محمول على هبة الأجنبي، أما إذا وهب لولده وإن سفل فله الرجوع فيه كما صرح به في حديث النعمان بن بشير ولا رجوع في هبة الإخوة والأعمام وغيرهم من ذوي الأرحام هذا مذهب الشافعي وبه قال مالك والأوزاعي وقال أبو حنيفة وآخرون: يرجع كل واهب إلا ذوي الرحم المحرم^(١). والصحيح هو قول الجمهور.

٣ - عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأَثْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الثَّمَرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»^(٢).

هذا مثل يضربه النبي ﷺ يقسم فيه الناس وعلاقتهم بالقرآن.

قال النووي في بيان فائدة المثل في هذا الحديث: فيه فضيلة حافظ القرآن واستحباب ضرب الأمثال لإيضاح المقاصد^(٣).

المثل الأول: المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به: الأثرجة والاثرج بضم الهمة والراء وتشديد الجيم فيهما وحكى أبو زيد ثرئة وثرئج^(٤).

والأثرجة ثمرة طيبة المذاق طيبة الريح ويبدو أنها غالية الثمن

لماذا شبه النبي ﷺ المؤمن الذي يقرأ القرآن بالأثرجة؟

(1) شرح صحيح مسلم ج ١١ ص ١٦٤

(2) صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ت. ٢٦١ رقم ٧٩٧ ج ١ ص ٥٢٥ دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون د.ت كتاب الصلاة باب فضيلة حافظ القرآن (٧٩٧)

(3) شرح النووي ج ٢ ص ٣٧٨

(4) مختار الصحاح ج ١ ص ٣٢

قال ابن حجر: " قيل الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة، لأنه يتداوى بقشرها، وهو مفرح الخاصة ويستخرج من حبها دهن له منافع، وقيل: إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأترج فناسب أن يمثل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين، وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن، وفيها أيضا من المزايا كبر جرمها وحسن منظرها وتفريح لونها ولين ملمسها وفي أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة ودباغ معدة وجودة هضم ولها منافع أخرى مذكورة في المفردات^(١).

في هذا الحديث يقسم النبي ﷺ الناس إلى أربعة أقسام في علاقتهم بالقرآن: القسم الأول: المؤمن الذي يقرأ القرآن ويفهم من ذلك أنه يعمل بما يقرأ وينفذ أوامره ويصير خلقه القرآن كما كان النبي ﷺ خلقه القرآن وهذا ما حدث به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق النبي ﷺ قالت: "كان خلقه القرآن كان قرآنا يمشي على الأرض"، ومعناه أن القرآن قد تمثل في شخص النبي ﷺ.

وقيل خص صفة الإيمان بالطعم وصفة التلاوة بالريح، لأن الإيمان ألزم للمؤمن من القرآن إذ يمكن حصول الإيمان بدون القراءة وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه.

المثل الثاني: المؤمن الذي لا يقرأ القرآن: فهو كالتمررة وهذا الصنف يعمل بما في القرآن ولو كان لا يتلوه فمثله مثل التمرة طعمها حلوا ولا ريح لها، ولاختيار التمرة هنا معنى بدیع وهو أن النبي ﷺ قد شبه المؤمن بالتمرة بجميع كثرة الفوائد بينهما، فَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَانِي بِجُمَارٍ فَقَالَ: «إِنْ مِنْ

(١) فتح الباری ج ٩ ص ٦٦.

الشَّجَرِ شَجَرَةً مِثْلَهَا كَمَلِ الْمُسْلِمِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ»^(١).

قال في تحفة الأحوذى: ووجه الشبه بين النخلة والمؤمن من جهة عدم سقوط الورق ما رواه الحرث بن أسامة في هذا الحديث من وجه آخر عن ابن عمر ولفظه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «إِنَّ مِثْلَ الْمُؤْمِنِ كَمِثْلِ شَجَرَةٍ لَا تُسْقَطُ لَهَا أَمْلَةٌ، أُنْذَرُونَ مَا هِيَ؟» فَأَلَوْا: لَا. قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ، لَا تُسْقَطُ لَهَا أَمْلَةٌ وَلَا تُسْقَطُ لِمُؤْمِنٍ دَعْوَةٌ».

ووقع عند البخاري في الأطعمة من طريق الأعمش قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ: حَدَّثَنِي مُجَاهِدٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ جُلُوسٌ إِذَا أُتِيَ بِجُمَارِ نَخْلَةٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَّا بَرَكَتُهُ كِبَرُكَةُ الْمُسْلِمِ»، وهذا أعم من الذي قبله وبركة النخل كامنة في جميع أجزائها مستمرة في جميع أحوالها فمن حين تطلع إلى أن تبيس تؤكل أنواعا ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النووي في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المؤمن عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته^(٢).

المثل الثالث: أما المنافع الذي يقرأ القرآن فهو لا يعمل به ويتظاهر أمام الناس أنه مؤمن فهو في ذلك مثل الريحانة لها رائحة ولا طعم لها.

المثل الرابع: فهو المنافع الذي لا يقرأ القرآن فشبهه النبي ﷺ بالحنظلة وفيها ما فيها من المر مذاق، ولذا قال " لا رائحة لها وطعمها مر"، وفي رواية للترمذي ريحها مر

(1) صحيح البخاري كتاب العلم باب الفهم في العلم (٧٢) ص ٣٩.

(2) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى - محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري

ت. ١٣٥٣ - ج ٨ ص ١٣٥ دار الكتب العلمية بيروت

وطعمها مر قال في الفتح: " واستشكلت هذه الرواية من جهة أن المرارة من أوصاف الطعوم فكيف يوصف بها الريح؟ وأجيب بأن ريحها لما كان كريها استعير له وصف المرارة.

وأطلق الزركشي هنا أن هذه الرواية وهم، وأن الصواب ما في رواية هذا الباب ولا ريح لها ثم قال في كتاب الأطعمة: لما جاء فيه ولا ريح لها هذا أصوب من رواية الترمذي طعمها مر وريحها مر ثم ذكر توجيهها وكأنه ما استحضر أنها في هذا الكتاب^(١).

المبحث الثاني: التعليم بطرح السؤال على المتعلم

تمهيد:

الأصل في طرح السؤال أو الاستفهام أن يكون لطلب العلم بشيء ليس معلوما للسائل، لكنه قد يخرج عن ذلك لإعطاء دلالات أخرى مجازية، ومن تلك الدلالات التي يخرج إليها الاستفهام: الأمر - النهي - النفي - التعجب - التنبية - التمني - التهكم - الاستبطاء - الاستبعاد - التحقير - التكثير - التعظيم - التسوية - التقرير الإنكار - التهويل - الوعيد - التحسر - الاستئناس.

التشويق: مثل قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكَّرُ عَلَىٰ حَرَةٍ يُنَجِّيْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الصف ١٠).

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَذُكَّرُ عَلَىٰ شَجَرَةٍ أَخْلَدَ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ (طه ١٢٠) ولعل غرض النبي ﷺ من الاستفهام المطروح على أصحابه تشويقهم^(٢).

(١) فتح الباري ج ٩ ص ٦٧

(٢) من أراد المزيد عن معرفة الأغراض البلاغية فعليه الرجوع إلى كتب المعاني ففيها للشرح والأمثلة

وقد استعمل النبي ﷺ الاستفهام في سنته النبوية كوسيلة من وسائل التعليم لأصحابه ولنا من بعدهم، وهو أسلوب يستعمله المعلم لإثارة الفكر، وإعمال الذهن، وتجميع الرأي، ولتصحيح المفاهيم وتحديد أفكار ونشر علم. وخاصة إذا كان ما يشيع في الناس معنى يخالف الحقيقة أو يجانبها، فيستحضره المعلم ثم ينفيه ثم يؤسس معنى جديدا ويث فكرا صحيحا ومن ذلك ما جاء من أحاديث كثيرة للنبي ﷺ بصيغة الاستفهام ومن ذلك ما يأتي:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَقَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فُتِنْتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١).

هذا الحديث يستعمل فيه النبي ﷺ أسلوبا تربويا لتعليم أصحابه ألا وهو الإثارة عن طريق السؤال (أتدرون من المفلس) حتى يستمع إلى رأيهم وفهمهم ثم يصحح لهم هذه المفاهيم ويبين لهم أن المقياس الحقيقي والميزان العادل ميزان يوم القيامة كما أنه لا عبرة بالدنيا وما فيها.

قال في تحفة الأحوذى: "قوله أتدرون أي: أتعلمون، وهذا سؤال إرشاد لا استعلام ولذلك قال: إن المفلس كذا وكذا فينا أي فيما بيننا من لا درهم أي من لا نقد له أي ملكا ولا متاع أي مما يحصل به النقد ويتمتع به من الأقمشة والعقار والجواهر والعبيد والمواشي وأمثال ذلك والحاصل أنهم أجابوا بما عندهم من العلم بحسب عرف أهل الدنيا كما يدل عليه قولهم فيما غفلوا عن أمر الآخرة وكان حقهم أن يقولوا الله ورسوله أعلم، لأن المعنى الذي ذكره كان واضحا

(1) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم ٢٥٨١ ج٤ ص ١٩٩٧.

عنده ﷺ قال رسول الله ﷺ المفلس أي: الحقيقي أو المفلس في الآخرة من أمي أي أمة الإجابة^(١) ولو كان غنيا في الدنيا بالدرهم والمتاع، من يأتي يوم القيامة بصيام وزكاة أي مقبولات والباء للتعدية أي مصحوبا بها، ويأتي أي ويحضر أيضا قد شتم هذا أي حال كونه قد شتم هذا وقذف هذا أي بالزنا ونحوه وأكل مال هذا أي بالباطل وسفك دم هذا أي راق دم هذا بغير حق وضرب هذا بلا استحقاق أو زيادة على ما يستحقه، والمعنى جمع بين تلك العبادات وهذه السيئات فيقعد أي المفلس فيقتص هذا من حسناته أي يأخذ هذا من حسناته قصاصا^(٢).

وهذا لون من تصحيح المفاهيم التي شاعت في المجتمع العربي ولا زالت آثارها باقية حتى الآن، واستطاع النبي ﷺ أن يغير تلك الأفكار بأسلوب حكيم، وذلك يجعل المسلم مرتبطا بالآخرة يقيس بمقياسها، لا بمقاييس الدنيا ويزن بميزان الحق لا بموازين الدنيا الفانية.

قال النووي: "إن هذا حقيقة المفلس وأما من ليس له مال ومن قل ماله فالتاس يسمونه مفلسا وليس هو حقيقة المفلس، لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فاذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار، فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه قال المازري: وزعم بعض المبتدعة أن هذا الحديث معارض لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرَرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ (الإسراء ١٥)، وهذا الاعتراض غلط

(١) الأمة تطلق على أمة الدعوة وهم الذين أرسل فيهم النبي ﷺ من عصر البعثة إلى أن تقوم الساعة، سواء أكانوا مسلمين أم كفار، أما أمة الإجابة فهم الذين استجابوا لدعوة الحق ودعوة الهدى.

(٢) تحفة الأحوذى، ج ٧ ص ٨٦.

منه وجهالة بينة، لأنه إنما عوقب بفعله ووزره وظلمه فتوجهت عليه حقوق لغرمائه فدفعت إليهم من حسناته فلما فرغت وبقيت بقية قوبلت على حسب ما اقتضته حكمة الله تعالى في خلقه وعدله في عباده فأخذ قدرها من سيئات خصومه فوضع عليه فعوقب به في النار إنما هي بسبب ظلمه ولم يعاقب بغير جناية وظلم منه وهذا كله مذهب أهل السنة والله أعلم.

قال ابن حجر: ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ (الإسراء ١٥)؛ لأنه إنما يعاقب بسبب فعله وظلمه ولم يعاقب بغير جناية منه بل بجنايته فقوبلت الحسنات بالسيئات على ما اقتضاه عدل الله تعالى في عباده^(١).

إذا فالهدف التعليمي لرسول الله ﷺ من هذا الحديث تصحيح المفهوم الراسخ في نفوس الناس عن حقيقة المفلس ولما كان هذا المعيار سائدا بين الجميع احتاج لمحوه وعرض ما يصححه إلى هذا الأسلوب التعليمي وتلك الطريقة المثيرة للأذهان.

فائدة: هل يتعارض هذا الحديث مع قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾ (هود ١١٤) فقد بين الحديث أن المفلس يأتي بصلاة وصيام وزكاة وهذه أفضل الحسنات ثم يؤول أمره إلى النار والجواب على ذلك أن المقصود بالسيئات في الآية ما ليس في حق العباد .
أما إذا كان التعدي على حق الإنسان فيجب لقبول التوبة أن يعطي الحق لصاحبه فيعيد المال ويقتص منه أو أن يعفو صاحب الحق وإلا أمره موكول إلى ربه والله أعلم.

(1) فتح الباري ج ١٠ ص ٥٦٦

٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تُكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تُكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تُكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِي لَا زَجُوَ إِلَيَّ لَأَزْجُوَ أَنْ تُكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ»^(١)

في هذا الحديث بيان لفضل هذه الأمة ولمكانتها بين الأمم وكيف أن الله أنعم عليها بأن جعلها أكثر أهل الجنة، وأقصد هنا أمة الإجابة لا أمة الدعوة، والفرق بينهما أن أمة الإجابة هم الذين استجابوا لله ولرسوله ؛ أما أمة الدعوة فالذين وجدوا بعد بعثته ﷺ إلى يوم القيامة سواء أسلموا أو لم يسلموا، وإذا ذكر فضل لهذه الأمة فالمقصود أمة الإجابة لا أمة الدعوة.

قال النووي: قوله: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تُكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قَالَ: فَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ: «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تُكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قَالَ: فَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ: «إِلَيَّ لَا زَجُوَ أَنْ تُكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» أما تكبيرهم فليسروهم بهذه البشارة العظيمة، وأما قوله ﷺ: ربع أهل الجنة ثم ثلث أهل الجنة ثم الشطر ولم يقل أولا شطر أهل الجنة فلفائدة حسنة وفي أن ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في إكرامهم فإن إعطاء الإنسان مرة بعد أخرى دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته، وفيه فائدة أخرى هي تكريره البشارة مرة بعد أخرى وفيه أيضا حملهم على تجديد شكر الله تعالى وتكبيره وحمده على كثرة نعمه والله أعلم.

ثم إنه وقع في هذا الحديث شطر أهل الجنة وفي الرواية الأخرى نصف أهل الجنة وقد ثبت في الحديث الآخر أن أهل الجنة عشرون ومائة صف، هذه الأمة

(1) صحيح البخاري كتاب الرقاق باب كيف الحشر ٦٥٢٨ ص ١٢٥٠

منها ثمانون صفا فهذا دليل على أنهم يكونون ثلثي أهل الجنة فيكون النبي ﷺ أخبر أولا بحديث الشطر ثم تفضل الله سبحانه بالزيادة فأعلم بحديث الصفوف فأخبر النبي ﷺ بعد ذلك ولهذا نظائر كثيرة في الحديث معروفة كحديث الجماعة تفضل صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة وبخمس وعشرين درجة على أحد التأويلات فيه .

قوله ﷺ لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة هذا نص صريح في أن من مات على الكفر لا يدخل الجنة أصلا وهذا النص على عموميه بإجماع المسلمين^(١).

قال ابن التين: "ذكره بلفظ الاستفهام لإرادة تقرير البشارة بذلك وذكره بالتدريج، ليكون أعظم لسروره خرج أحمد وابن أبي حاتم من حديث أبي هريرة قال لما نزلت: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة ١٣-١٤)

شق ذلك على الصحابة فنزلت: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة ٣٩-٤٠)، فقال النبي ﷺ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تُكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَلْ ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَلْ أَنتُمْ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَتُقَاسِمُونَهُمْ فِي النِّصْفِ الثَّانِي»^(٢).

وقد بين تعالى خيرية هذه الأمة فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران ١١٠).

روى الترمذي عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران ١١٠) قَالَ: «إِنَّكُمْ تَبْتَغُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ» وقال هذا حديث

(1) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٣ ص ٩٥.

(2) للفتح ج ١ ص ٣٨٧.

حسن^(١)، وقال أبو هريرة: نحن خير الناس للناس نسوقهم بالسلاسل إلى الإسلام. وقال عمر بن الخطاب: من فعل فعلهم كان مثلهم. وقيل: هم أمة محمد ﷺ يعني الصالحين منهم وأهل الفضل وهم الشهداء على الناس يوم القيامة وقال مجاهد: كتتم خير أمة أخرجت للناس على الشرائط المذكورة في الآية وقيل معناه كتتم في اللوح المحفوظ وقيل كتتم مذ آتتم خير أمة وقيل جاء ذلك لتقدم البشارة بالنبي - ﷺ - وأمه فالمعنى كتتم على من تقدمكم من أهل الكتب خير أمة^(٢).

فالهدف التعليمي الذي نص عليه الحديث بيان فضل هذه الأمة وحث المسلمين على شكر نعمة الله عليهم امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّرَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم ٧).

٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَيْتَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَيْتَكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَيْتَكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «هَلْ تُذَرِّي مَا حَقَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَيْتَكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «هَلْ تُذَرِّي مَا حَقَّ الْعِبَادُ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: «حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا

(1) قال الحاكم صحيح ولم يخرج الشيوخان على الصحيحين باب ذكر فضائل هذه الأمة على سائر الأمم ٦٩٨٧ ج٤/٩٤ وحسنه الترمذی ٣٠٠١ كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة آل عمران ٣٠٠١ ج٥ ص٢٢٦

(2) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١) ج ٤ ص ١٧٠ دار الريان للتراث دت

يُعَذِّبُهُمْ»^(١).

وفي رواية مسلم قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرُهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا»^(٢).

معاني بعض مفردات الحديث:

أ - الردف والرديف الراكب خلف الراكب بإذنه، وردف كل شيء مؤخره وأصله من الركوب على الردف وهو العجز ولهذا قيل للراكب الأصلي ركب صدر الدابة وردفت الرجل إذا ركبت وراءه وأردفته إذا أركبته وراءك^(٣).

ب - وأما مؤخرة الرجل فبضم الميم بعده همزة ساكنة ثم خاء مكسورة وهذا هو الصحيح وفيه لغة أخرى مؤخرة بفتح الهمزة والحاء المشددة قال القاضي عياض رحمه الله أنكر ابن قتيبة فتح الحاء وقال ثابت مؤخرة الرجل ومقدمته بفتحهما ويقال آخرة الرجل بهمزة ممدودة وهذه أفصح وأشهر، وهي العود الذي يكون خلف الراكب .

ج - وقوله لبيك وسعديك في معنى لبيك أقوال نشير هنا إلى بعضها والأظهر أن معناها إجابة لك بعد إجابة للتأكيد وقيل معناه قربا منك وطاعة لك وقيل أنا مقيم على طاعتك وقيل محبتي لك ذلك ومعنى سعديك أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة^(٤).

يشتمل هذا الحديث على وسيلتين من الوسائل التعليمية التي أكثر منها النبي ﷺ لتعليم أصحابه إحداها إثارة الأذهان عن طريق السؤال والثانية التكرار وظاهر ذلك في تكرار النداء لمعاذ .

(1) صحيح البخاري كتاب الرقاق باب من جاهد نفسه في سبيل الله ٦٥٠٠ ج ٥ ص ٢٣٨٤.

(2) مسلم كتاب الإيمان باب من لقي الله بالإيمان دخل الجنة ١٤٣ مع شرح النووي ج ١ ص ٥٠٢.

(3) الفتح ج ١٠ ص ٣٩٨.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١ ص ٥٠٥ بتصرف.

قال النووي: وأما تكريره ﷺ نداء معاذ رضي الله عنه فلتأكيد الاهتمام بما يخبره وليكمل انتباه معاذ فيما يسمعه وقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لهذا المعنى والله أعلم^(١).

ولكن ما معنى استحقاق العبد للجنة أو النعيم والله سبحانه لا يجب عليه شيء، فهو المتفضل على خلقه المنعم على عباده سبحانه وتعالى.

لقد نقل ابن حجر بعض الأجوبة على هذا الاستفسار نذكر أشهرها قال رحمه الله قال صاحب التحرير "اعلم أن الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لا محالة والله سبحانه وتعالى هو الحق الموجود الأزلي الباقي الأبدي، والموت والساعة واللجنة والنار حق لأنها واقعة لا محالة وإذا قيل للكلام الصدق حق فمعناه أن الشيء المخبر عنه بذلك الخبر متحقق لا تردد فيه، وكذلك الحق المستحق على العبد أن يكون فيه تردد وتحير فحق الله تعالى على العباد معناه ما يستحقه عليهم متحتماً عليهم وحق العباد على الله تعالى معناه أنه متحقق لا محالة، هذا كلام صاحب التحرير، وقال غيره إنما قال حقهم على الله تعالى على جهة المقابلة لحقه عليهم ويجوز أن يكون من نحو قول الرجل لصاحبه حقك واجب على أي متأكد قياسي به ومنه قول النبي ﷺ حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام والله أعلم^(٢).

تنبيه: هنا إشكال وهو هل كان معاذ مخالفاً بإخباره هذا نهى النبي ﷺ؟ والجواب بالنفي قطعاً لأن معاذ رضي الله عنه "وهو أعلم الصحابة بالحلال والحرام فهم من أن نهى النبي ﷺ معلل بخشية الاتكال فلما اطمأن قلبه وعلم انتفاء هذه العلة أخبر بهذه البشري حتى لا يقع في إثم كاتم العلم فقد قال تعالى :

(1) السابق.

(2) فتح الباري ج ١١ ص ٣٣٩

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴾ (البقرة ١٥٩) أو أن معاذاً فهم من نهى النبي ﷺ تحذيراً من الاتكال فلو أخبر بالخبر كاملاً بما فيه من نهى ﷺ تحقق الهدف وهو عدم الاتكال مع تحقيق المصلحة (بشري)

المبحث الثالث: التعليم بالقصة

تمهيد: في الإنسان -عادة- ميل شديد إلى القصة ينجذب إليها ويتعلق بها سمعه وقلبه، ويرويها عن نفسه ويتعلق بها سامعوه وحاضروه وإذا وجد الإنسان من يروي القصة أصغى وأنصت ليتعلم وليستوعبها، ليقصها بدوره لمن يجالسهم كزاد من علمه، ومصدراً لتصدر المجالس وحكاية العلوم، والمعارف .

وكم أغرم الإنسان برواية الأقاصيص والأحداث التي جرت له ولغيره وكانت مسرحاً لواقعة مؤثرة، ومصدراً لخبر جذاب أو فكرة شائعة. ولقد كانت القصة الهادفة إحدى وسائل النبي ﷺ في التعليم والإقناع والتأثير، وقد حوت كتب الحديث قصصاً كثيرة مما أثر عن النبي -ﷺ.

وإذا تحرينا الدقة قلنا أقصوصة، لا قصة، لأن علماء الأدب يطلقون الأقصوصة على القصة القصيرة التي يعالج فيها الكاتب جانباً أو مشهداً من حياة وليس الجوانب أو المشاهد كلها، حيث يقتصر على حادثة لا حوادث.

أما القصة فهي تلك التي تتسع لجوانب أرحب ووقائع أفسح فلا بأس يطول الزمن وتمتد الأحداث وتكرر المشاهد وتتنامى ويتوالى تطورها حتى تصل إلى غايتها مروراً بالعقدة وتوصلاً وانتهاءً إلى الحل.

ونجد أن السنة النبوية قد استعملت بمهارة واقتدار أسلوب القصة وسيلة للتعليم ونشر المعرفة وتحقيق الإيمان فآثر ذلك في القلوب وصاغ النفوس على

منوال مشرق وغموض معجب.

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ: «رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: اتَّبِعْنِي بِالشَّهْدَاءِ أَشْهَدُهُمْ. فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. قَالَ: فَأَتَيْتِي بِالْكَفِيلِ. قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا. قَالَ: صَدَقْتُ. فَذَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ اتَّخَذَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَلُهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَتَقَرَّهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ رَجَعَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تُسَلِّفْتُ فَلَنَا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلْتَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا. فَضَرَبْتَنِي بِكَ، وَسَأَلْتَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. فَضَرَبْتَنِي بِكَ، وَأَنِّي جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَأَنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا. فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِأَتِيكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ. قَالَ: هَلْ كُنْتُ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أَخْبِرْكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ! قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتُ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرَفَ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»^(١).

في هذا الحديث يحكي النبي ﷺ واقعة حدثت في من سبقنا وجاء السرد على هيئة قصة استكملت كل عناصر القصة القصيرة فهي تشتمل على الزمان وهو

(١) صحيح البخارى كتاب الحوالة باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها ٢٢٩٢

عصر بني إسرائيل والمكان وهو مكان مجاور للبحر والأشخاص وهما بطلا القصة (الدائن والمدين)

وقد حاول ابن حجر أن يصل إلى اسم الدائن فقال: قوله أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار في رواية أبي سلمة أن رجلا من بني إسرائيل كان يسلف الناس إذا أتاه الرجل بكفيل ولم أقف على اسم هذا الرجل لكن رأيت في مسند الصحابة الذين نزلوا مصر لمحمد بن الربيع الجيزي بإسناد له فيه مجهول عن عبد الله بن عمرو بن العاص يرفعه أن رجلا جاء إلى النجاشي فقال له أسلفني ألف دينار إلى أجل فقال من الكميل بك قال الله فأعطاه الألف فضرب بها الرجل أي سافر بها في تجارة فلما بلغ الأجل أراد الخروج إليه فحبسته الريح فعمل تابوتا فذكر الحديث نحو حديث أبي هريرة واستفدنا منه أن الذي أقرض هو النجاشي فيجوز أن تكون نسبته إلى بني إسرائيل بطريق الأتباع لهم لا أنه من نسلهم^(١).

ولو صح هذا لكان البحر المشار إليه في الحديث نهر النيل، لأن النجاشي لقب على ملك الحبشة (أثيوبيا) وهي مطلة على النيل كما تضمنت القصة العقدة والحل وفي القصة عقدتان وحلان أما الأولى فهي احتياج أحد بطلي القصة إلى المال وليس معه من يضمنه أو من يشهد على القرض والحل أن يرضى النجاشي وهو صاحب المال أن يعطي من غير كفيل أو شهود من البشر ويرضى بالله كفيلا وشهيدا.

وأما العقدة الثانية فعندما يأتي المدين في وقت الأجل فيريد أن يعبر البحر فيحال بينه وبين ذلك لاشتداد الريح وارتفاع الموج فيشعر بضائقة نفسية تتمثل في خلف الوعد وتأثير السداد ويأتي الحل بوصول المال إلى صاحبه فقد تكفل الله

(1) الفتح ج ٤ ص ٤٧١.

بالحفاظ عليه في وسط هذه الأمواج كما تكفل سبحانه بأن يلهم صاحب الدين أن يأخذ هذه الخشبة حطبا لأهله فيكسرها فيجد الألف دينار ولا يستبعد على صاحب الدين تركه لهذه الخشبة استغناء عنها وهو الملك الغني ولكنها إرادة الله....

وقد استطاع النبي ﷺ من خلال هذه القصة القصيرة تحقيق بعض الأهداف التعليمية وتوصيل كثير من المعلومات الشرعية إلى المتلقي منها:

أ - جواز الكفالة وهي أن يضمن شخص شخصا آخر لقضاء ما على الثاني من دين أو حق وهذه الكفالة يطلق عليها الفقهاء كفالة الأبدان، لأنه يضمن الشخص بنفسه، وهناك كفالة الأموال وهي أن يضمن ما على رجل من مال سواء كان الرجل الذي يضمن عنه حيا أو ميتا وهذا حدث في عهد النبي ﷺ، فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَى بِجَنَازَةٍ، فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا. فَقَالَ: «هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَهَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟» قَالُوا: لَا. فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَى بِجَنَازَةٍ أُخْرَى فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلِّ عَلَيْهَا. قَالَ: «هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟» قِيلَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَهَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟» قَالُوا: ثَلَاثَةُ دَنَانِيرَ. فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى بِالثَّلَاثَةِ فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا. قَالَ: «هَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَهَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟» قَالُوا: ثَلَاثَةُ دَنَانِيرَ. قَالَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ» قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَعَلَى دَيْنِهِ. فَصَلَّى عَلَيْهِ^(١).

ب - وفي الحديث جواز الأجل في القرض لأن هذا من قبيل التعاون وقد قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة ٢)

ج - وجوب الوفاء بالدين: لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي

(1) البخاري في كتاب الحوالات، باب إن أحال دين الميت على رجل جاز ٢٢٨٩ص ٤٢٧

أَوْثَمِينَ أَمَنَّتُهُ وَلَيَقِيَنَّ اللَّهَ رَبَّهُ ۖ ﴿البقرة ٢٨٣﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ﴾ (النساء ٥٨)

وبين ﷺ " أن علامة وآية المنافق أنه إذا أوثق خان وإذا وعد أخلف وإذا حدث كذب "

وقد أوجب الله الوفاء بالعهود قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۖ﴾ (المائدة ١).

د - وفيه التحدث عما كان في بني إسرائيل وغيرهم من العجائب للاعطاء والتاسي؛ لأن النبي ﷺ قال: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»^(١) ولأن الحكمة ضالة المؤمن فحيثما وجدها فهو أحق الناس بها والكيس من اتعظ بغيره هـ - وفيه فضل التوكل على الله وأن من صح توكله تكفل الله بنصره وعونه فقد قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ۝﴾ (الفرقان ٥٨).

وهذا أمر للنبي ﷺ ولنا من بعده تبعاً أن يتوكل عليه في دفع المضار وجلب المنافع فقال وتوكل على الحي الذي لا يموت وخص صفة الحياة إشارة إلى أن الحي هو الذي يوثق به في المصالح ولا حياة على الدوام إلا الله سبحانه دون الأحياء المنقطعة حياتهم فإنهم إذا ماتوا ضاع من يتوكل عليهم، والتوكل اعتماد العبد على الله في كل الأمور.

٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْ رَجُلًا قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ

(1) البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٣٤٦١.

نَفْسًا، فَجَعَلَ يَسْأَلُ: هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَأُلِيَ رَأْيًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ: لَيْسَتْ أَلَكَ تَوْبَةٌ. فَقَتَلَ الرَّاهِبَ، ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا قَوْمٌ صَالِحُونَ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَذْرَكَ الْمَوْتَ، فَتَأَى بِصَدْرِهِ ثُمَّ مَاتَ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ مِنْهَا بِشِيرٍ، فَجَعَلَ مِنْ أَهْلِهَا^(١).

فهذه قصة حدثت في الزمن السابق للإسلام وهذا هو الزمان، وأما المكان فهي تلك القرية التي انتشر فيها السوء والمعاصي (كفرة) في إحدى الروايات وأما الأشخاص فمنهم أشخاص أساسية (وهو البطل) وأشخاص ثانوية وهم كثيرون في هذه القصة كالرجلين اللذين سألهما القاتل والذين دلوه عليهما والملائكة وإبليس .

وفي القصة عقدة وهي معصية القتل وتصل العقدة إلى نهايتها عندما يفتي أنه لا توبة له فيقتل المفتي، ويأتي الحل عندما يستفتي رجلا عالما فيفتح له باب التوبة ويلاحظ أن النبي ﷺ أرد أن يعلمنا من هذه الواقعة عددا من القضايا:

أ- أن باب التوبة مفتوح وأن رحمة الله قريب من المحسنين قال تعالى: ﴿ قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ (الزمر ٥٣)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ٥٤ ﴾ (النساء ١١٠)، و قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٥٥ ﴾ (النور ٣١)

(1) مسلم كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ٦٨٧٢ مع شرح النووي ج٨ ص ١١٧

ب - ونتعلم أيضا من قصة الرجل الذي قتل تسعا وتسعين نفسا ألا نستفتي إلا ذا علم وألا يتجرا أحد على الفتوى إلا إذا كان من أهلها لأنه قد ورد في الأثر أجرؤكم على الفتوى أجرؤكم على النار.

وكان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره فإذا رأى أنها قد تعينت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة أو قول الخلفاء الراشدين ثم أفتى.

عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ أراه قال في المسجد فما كان منهم يحدث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا، وقال مالك عن يحيى بن سعيد أن بكير بن عثمان أخبره عن معاوية بن أبي عياش أنه كان جالسا مع عبد الله بن الزبير وعاصم بن عمر فجاءهما محمد بن إياس ابن البكير فقال إن رجلا من أهل البادية طلق امرأته ثلاثا فماذا تريان فقال عبد الله بن الزبير إن هذا الأمر ما لنا فيه قول فاذهب إلى عبد الله بن عباس وأبي هريرة فإني تركتهما عند عائشة زوج النبي ﷺ ثم اتنا فأخبرنا فذهبت فسألتهما فقال ابن عباس لأبي هريرة أفته يا أبا هريرة فقد جاءتك معضلة فقال أبو هريرة الواحدة تبينها والثلاث تحرمها حتى تنكح زوجا غيره.

وقال مالك عن يحيى بن سعيد قال: قال ابن عباس إن كل من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه لمجنون.

وقال سحنون إني لأحفظ مسائل منها ما فيه ثمانية أقوال من ثمانية أئمة من العلماء فكيف ينبغي أن أعجل بالجواب قبل الخبر فلم ألأم على حبس الجواب وقال ابن وهب حدثنا أشهل بن حاتم عن عبد الله بن عون عن ابن سيرين قال قال حذيفة إنما يفتي الناس أحد ثلاثة من يعلم ما نسخ من القرآن أو أمير لا يجد بدا أو أحق متكلف قال فرما قال ابن سيرين فلست بواحد من هذين ولا أحب أن أكون الثالث .

قال ابن هانئ سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن الذي جاء في الحديث أجروكم على الفتيا أجروكم على النار قال أبو عبد الله رحمه الله يفتي بما لم يسمع قال وسأله عمن أفتى بفتيا يعي فيها قال فإثمها على من أفتاها قلت على أي وجه يفتي حتى يعلم ما فيها قال يفتي بالبحث لا يدري أيش أصلها وقال أبو داود في مسأله ما أحصى ما سمعت أحمد سئل عن كثير مما فيه الاختلاف في العلم فيقول لا أدري قال وسمعت ي تقول ما رأيت مثل ابن عينة في الفتوى أحسن فتيا منه كان أهون عليه أن يقول لا أدري وقال عبد الله بن أحمد في مسأله سمعت أبي يقول وقال عبد الرحمن ابن مهدي سأل رجل من أهل الغرب مالك بن أنس عن مسألة فقال لا أدري فقال يا أبا عبد الله تقول لا أدري قال نعم فأبلغ من وراءك أني لا أدري وقال عبد الله كنت أسمع أبي كثيرا يسأل عن المسائل فيقول لا أدري ويقف إذا كانت مسألة فيها اختلاف وكثيرا ما كان يقول سل غيري فإن قيل له من نسأل قال سلوا العلماء ولا يكاد يسمي رجلا بعينه قال وسمعت أبي يقول كان ابن عينة لا يفتي في الطلاق ويقول من يحسن هذا^(١).

ج - ونتعلم أيضا أهمية الصحبة وخطورتها وكيف أن للبيئة دورا كبيرا في سلوك الفرد. عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُخْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تُبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تُجَدَّ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ وَإِمَّا أَنْ تُجَدَّ رِيحًا خَبِيثَةً»^(٢).

عن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله أي جلسائنا خير؟ قال: «من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقته، وذكركم بالآخرة عمله» وقال مالك بن دينار:

(1) إعلام الموقعين ج ١ ص ٣٣.

(2) صحيح مسلم باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ٢٦٢٨ ج ٤ ص ٢٦٦.

إنك إن تنقل الأحجار مع الأبرار خير لك من أن تأكل الخبيص مع الفجار وأنشد
وصاحب خيار الناس تنج مسلماً ولا تصحب شرار الناس يوماً فتندما^(١)

ويلاحظ من حديث الباب أن العالم أمر القاتل بأن يترك قرية السوء لما فيها
من فساد أهلها لأنهم سيذكرونه بالمعصية ما أقام فيهم وأمره بالارتحال إلى قرية
الصلاح لأن من فيها سيعينوه على الطاعة ويذكرونه بالله .

قال النووي: قوله انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن فيها أناسا يعبدون الله
فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء قال العلماء في هذا
استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب والأخذان المساعدين له
على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم وأن يستبدل بهم أهل الخير والصلاح
والعلماء والمتعبدين الورعين ومن يقتدي بهم ويتنفع بصحبته وتؤكد بذلك
توبته^(٢).

د - والحديث يرشدنا إلى أن على العالم أن يرشد السائل على الطريق الذي
يوصله إلى الله وألا يقتصر جوابه على محل السؤال وهذا ما استفدناه من رد العالم
على القاتل عندما وجهه إلى ما يعينه على التوبة مع أنه لم يسأل إلا عن التوبة ذاتها
هل لهذا القاتل أم لا ولم يسأل عن كيفية تحقيقها ولكنه رأي أن السائل يحتاج لهذه
الزيادة وهذا ما سلكه النبي ﷺ في كثير من أحاديثه فعن أبي هريرة قال: سأل رجل
رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء
فإن توضعنا به عطشنا أفتروضنا من ماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: «هو الطهور

(1) القرطبي ج ١٣ ص ٢٧.

(2) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٨ ص ١١٩

مَأْوُهُ الْحِلُّ مَبِيتُهُ»^(١) مع أنهم لم يسألوا عن ميتة البحر ولكنه ﷺ علم احتياجهم لهذا الحكم لكثرة ركوبهم البحر وهذا ما يسميه البلاغيون أسلوب الحكيم.

٣- عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحَرَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يَعْلَمُهُ فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيَّتَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَأَقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَاقْتُلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تُدُلْ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلَامُ يَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ صَعِيَ فَأَتَاهُ يَهْدِيًا كَثِيرَةً فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِلَّا مَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ. فَأَمَّنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَحَبَسَهُ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِي، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ! فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِلَّا مَا يَشْفِي اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ

(١) رواه الترمذي: كتاب الطهارة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور، برقم

٦٩، وصححه الألباني.

يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ.
فَأَبَى؛ فَدَعَا بِالْمِشَارِ فَوَضَعَ الْمِشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ
جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى؛ فَوَضَعَ الْمِشَارَ فِي مَفْرَقِ
رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى؛
فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَثَا وَكَثَا فَاصْعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ
فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ
فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى
الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ
أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ
وَإِلَّا فَاقْلَبُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَالْكَفَاتُ بِهِمُ السَّفِينَةُ
فَعَرَفُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ
اللَّهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ:
تَجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتُصَلِّبُنِي عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ خَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَائِي ثُمَّ
ضَمَّ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلَّ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعُلَامِ. ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا
فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ ثُمَّ أَخَذَ
سَهْمًا مِنْ كِنَائِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعُلَامِ.
ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صَدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صَدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ.
فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْعُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْعُلَامِ. فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ
لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْدَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَدْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ. فَأَمَرَ بِالْأَخْذِ
فِي أَفْوَاهِ السُّكَّكِ فَحُدَّتْ وَأَضْرَمَ النَّارَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَاحْمِلُوهُ
فِيهَا. أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ

تَقَعْ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْعَلَامُ: يَا أُمَّةُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ^(١).

معاني المفردات:

الصومعة كجوهرة في الوزن: بيت للنصارى ينقطع فيه رهبانهم قال معمر أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين كما يدل عليه سياق هذه القصة. المفرق: على وزن مقعد ومجلس وهو وسط الرأس وهو الذي يفرق فيه الشعر أخدودا: بضم الهمزة وسكون المعجمة الشق العظيم وجعه أخايد^(٢). في هذا الحديث توافرت كل عناصر القصة فهي في الزمن الماضي ويبدو أنها في الفترة بين سيدنا عيسى وسيدنا محمد عليهما السلام وأما المكان فذكر بعض الرواة أنها وقعت في نجران وأما الأشخاص فالغلام ، الملك ، الساحر ، الراهب ، جليس الملك وغير ذلك من الشخصيات الثانوية وفيها العقدة وهي حيرة الغلام والحل طمأنينة قلبه بعد أن قتلت الدابة وثمة عقدة أخرى وتتمثل في صعوبة تبليغ الدعوة إلى الناس ويأتي الحل باعتراف واضح من الملك بأن ربه الله ورب الغلام فأمن الناس برب الغلام وباستكمال هذه العناصر للقصة يتحقق عدد من الأهداف التعليمية التي قصدها النبي صلى الله عليه وسلم وهي على النحو التالي:

أ- قال النووي: إثبات كرامات الأولياء وفيه جواز الكذب في الحرب ونحوها وفي إنقاذ النفس هذا من الهلاك سواء نفسه أو نفس غيره ممن له حرمة^(٣).

ب - والحديث يبين لنا أن السحر ضد الدين وأن الساحر يدعو إلى الباطل لذا حرمه الشرع قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (البقرة ١٠٢).

(1) صحيح مسلم باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ٣٠٠٥ ج٤ ص ٢٢٩٩

(2) تحفة الأحوذى ج ٩ ص ١٨٣

(3) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٨ ص ١٣٠

ج - تعلمنا هذه القصة الصبر وتحمل الأذى في سبيل الله عز وجل فهذا هو الراهب وجليس الملك ينشران بالمنشار فلا يرجعان عن دينهما وهذا هو الغلام يضحي بنفسه من أجل أن يؤمن الناس وهؤلاء الذين حرقوا في الأخاديد ولم يصددهم ذلك عن الحق شيئاً وقد حكى الله عن هؤلاء في القرآن في سورة البروج قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ١ وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ٢ وَشَahِدِ وَمَشْهُودِ ٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ٩ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١٠ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ١١ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ١٢ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ١٣﴾ (البروج ١-١١).

د- تغرس هذه القصة في من تلقاها ووعاها اليقين والثقة في أن الله عز وجل لا يتخلى عن أوليائه ولا يغفل عن أصفياه فقد نجى الغلام الذي آمن به ودعا إليه من فوق الجبل ومن الغرق في البحر بل قد ذهب بعض المفسرين إلى أن الله نجى الذين آمنوا وألقوا في الأخاديد وأحرق الملك وأتباعه ، قال ابن الجوزي: وذهب الربيع بن أنس في جماعة إلى أن النار ارتفعت إلى الملك وأصحابه فأحرقتهم فذلك عذاب الحريق في الدنيا قال الربيع فأتى الله أرواح المؤمنين قبل أن تمسهم النار وحكى الفراء أن المؤمنين نجوا من النار وأنها ارتفعت فأحرق الكفرة^(١).

(1) زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي دار المكتب الإسلامي

بيروت ١٤٠٤ ط الثالثة ج ٩ ص ٧٧

المبحث الرابع: التكرار

تمهيد:

التكرار: من كرّر وأعاد الأمر مرة بعد أخرى ومنه التكرار أو التكرير وهو إعادته مرارا والاسم التكرار، وفي الاصطلاح تكرار اللفظ أو المعنى مرتين أو أكثر لأغراض يقصدها المتكلم من كلامه.

وللتكرار جملة من الأغراض يتفياها المتكلم من حديثه فيعمد إلى التكرار

ومنها:

أ - التأكيد وتقرير المعنى في النفس، قال تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ثُمَّ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (التكاثر ٣-٤)، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿ (الشرح ٥-٦)

ب - ملاينة المخاطب لقبول مضمون الخطاب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَرَ يَنْقُومِ آتِيعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ يَنْقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿ (غافر ٣٨-٣٩).

وذلك التكرار يعد بابا واسعا من قدرة المعلم ودليلا على امتلاكه ناصية الكلام وتمكنه من أساليب اللغة وطرائق الكلام، كما يعتبر منفذا عميقا لصاحب الدعوة يعبر من خلاله إلى نفوس من يتعلمون على يديه ويتعاملون مع هديه.

والسنة النبوية تحتوي على نماذج متعددة من التكرار، حيث كان النبي ﷺ يكرر اللفظة والعبارة والمعنى، بين يدي مستمعيه تعظفا منه ورعاية لهم وإخلاصا في دعوته وبراعة في أسلوبه وأدائه، ومن ذلك ما يأتي:

١ - عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ (نَفِيعُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ) قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ ثَلَاثًا: الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ

الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يَكْرُرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ^(١).

ففائدة التكرار تثبيت المعلومة وترسيخها وإبراز أهميتها وقد بوب البخاري في صحيحه (باب من أعاد الحديث ليفهم)

قال ابن حجر في شرحه على صحيح البخاري: قوله باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم هو بضم الياء وفتح الهاء وفي روايتنا أيضاً بكسر الهاء لكن في رواية الأصيلي وكرمة ليفهم عنه وهو بفتح الهاء لا غير^(٢).

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا^(٣).

والزور قال الثعلبي المفسر، وأبو إسحق وغيره: أصله تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من سمعه أو رآه أنه بخلاف ما هو به فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق^(٤).

قوله فما زال يكررها حتى قلنا: ليت سكت، أي: شفقة عليه وكرهية لما يزعمه وفيه ما كانوا عليه من كثرة الأدب معه ﷺ والمحبة له والشفقة عليه^(٥).

ولكن السر في أن النبي صلى الله عليه وسلم شدد في تحريم قول الزور: ذلك أن الزور هو الكذب ومن يكذب يغير الحقائق ومن تلك الحقائق التي غيرها البشر توحيد الله عز وجل فعبدوا معه غيره وقالوا عليه بغير علم لذا قرن الله قول الزور بالرجس من الأوثان قال تعالى " (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا

(1) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان الكبائر ٨٧ ج ١ ص ٩١.

(2) الفتح ج ١ ص ١٨٨.

(3) رواه البخاري: كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، برقم ٩٥.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١ ص ٦٧٢.

(5) الفتح ج ٥ ص ٢٦٢.

قول الزور) (سورة الحج ٣٠) .

قال الشوكاني: "وروى الإمام أحمد بسنده عن أيمن بن خريم قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيْبًا فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَدَلْتُ شَهَادَةَ الزُّورِ إِشْرَاكَ بِاللَّهِ، ثَلَاثًا ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾» (الحج ٣٠) ^(١).

عن ابن مسعود أنه قال: تعدل شهادة الزور الإشراك بالله ثم قرأ هذه الآية ^(٢).

ولكن لماذا اختص قول الزور بهذا الحديث بالتكرار ولم يكرر الشرك والعقوق قال في تحفة الأحوذى: وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعا على الناس والتهاون بها أكثر فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم والعقوق يصرف عنه الطبع وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه وليس ذلك لعظمهما بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعاً بل لكون مفسدة الزور متعددة الشاهد بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالباً ^(٣).

قال الصنعاني: وإنما اهتم ﷺ بإخبارهم عن شهادة الزور وجلس وأتى بحرف التنبيه وكرر الإخبار لكون قول الزور وشهادة الزور أسهل على اللسان والتهاون بها أكثر ولأن الحوامل عليه كثيرة من العداوة والحسد وغيرها فاحتيج إلى الاهتمام بشأنه بخلاف الإشراك فإنه ينبو عنه قلب المسلم ولأنه لا تتعدى مفسدته

(١) رواه أحمد: من مسند الشاميين، من حديث أيمن بن خريم عن النبي ﷺ، برقم ١٧١٥١.

(٢) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن على الشوكاني ت

١٢٥٠ ج ٣ ص ٤٥١. دار الفكر بيروت

(٣) تحفة الأحوذى ج ٦ ص ٢٤.

المشرك بخلاف قول الزور فإنه يتعدى إلى من قيل فيه والعقوق يصرف عنه كرم الطبع والمروءة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لرجل: ترى الشمس قال نعم قال على مثلها فاشهد أو دع أخرجه ابن عدي بإسناد ضعيف وصححه الحاكم فأخطأ لأن في إسناده محمد بن سليمان بن مشمول ضعفه النسائي وقال البيهقي لم يرو من وجه يعتمد عليه وفيه دليل على أنه لا يجوز للشاهد أن يشهد إلا على ما يعلمه علما يقينا كما تعلم الشمس بالمشاهدة ولا تجوز الشهادة بالظن فإن كانت الشهادة على فعل فلا بد من رؤيته وإن كانت فلا بد من سماع ذلك الصوت ورؤية الصوت أو التعريف بالصوت بعدلين أو عدل ثم من يكتفي به إلا في مواضع فإنها تجوز الشهادة بالظن^(١).

٢ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: تَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ سَافَرْتَاهُ فَأَذْرَكْنَا وَقَدْ أَرْهَقْنَا الصَّلَاةَ - صَلَاةَ الْعَصْرِ - وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نُمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ الثَّارِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا^(٢).
ومعنى أَرْهَقْنَا الصَّلَاةَ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ أَي: أَخْرَجْنَاهَا عَنْ وَقْتِهَا حَتَّى كِدْنَا نَغْشِيهَا وَنُلْجِعُهَا بِالصَّلَاةِ الَّتِي بَعْدَهَا^(٣).

الأعقاب جمع عقب: والعقب مؤخر القدم، قال البغوي معناه ويل لأصحاب الأعقاب المقصرين في غسلها وقيل أراد أن العقب مختص بالعقاب إذا قصر في غسله وفي الحديث تعليم الجاهل ورفع الصوت بالإنكار وتكرار المسألة لتفهم^(٤).

(1) سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير ت. ٨٥٢ ج ٤ ص ١٣٠، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٧٩ هـ ط الرابعة، المحقق محمد عبد العزيز الخولي.

(2) صحيح البخاري كتاب العلم باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم ٩٦ ص ٤٤.

(3) النهاية في غريب الحديث ج ٢ ص ٢٨٣.

(4) الفتح ج ١ ص ٢٦٦.

والحديث يرشدنا إلى عدد من القضايا تهم المسلم في حياته منها
أ - فضيلة إسباغ الوضوء على كل أجزاء الأعضاء ومعنى الإسباغ هنا إيصال
الماء إلى أعضاء الوضوء كاملة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ
الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ
عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَالتَّيَظُّارُ الصَّلَاةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ
الرِّبَاطُ»^(١).

ب - ويفيد الحديث أيضا وجوب غسل الرجلين في الوضوء وقد أجمع أهل
السنة على ذلك .

ج - في الحديث دليل على وجوب تعليم الجاهل وأنه لا يجوز تأخير البيان
عن وقت الحاجة فالنبي ﷺ رفع صوته مع أنه كان يكره رفع الصوت ولكن
الضرورة ألجأته إلى ذلك ليسمع القاصي والداني وليبين خطورة المسألة
وإسداء النصيحة واجب ديني كما في حديث الدين النصيحة وسيأتي تفصيل
ذلك في الحديث القادم.

٣- عَنْ ثَمِيمِ الدَّارِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ:
«لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٢)، وفي رواية الترمذي: عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» -ثلاث مِرَارٍ- قَالُوا: يَا رَسُولَ
اللَّهِ لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا
حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَفِي الْبَابِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَثَمِيمِ الدَّارِيِّ وَجَرِيرٍ وَحَكِيمِ بْنِ

(1) صحيح مسلم كتاب الوضوء باب إسباغ الوضوء على المكاره ج ١ ص ٢١٩.

(2) رواه مسلم الإيمان باب الدين النصيحة ج ٥ ص ٧٤ وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان

لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ت ٣٥٤ - رقم ٤٥٧٤ دار مؤسسة الرسالة

بيروت ١٤١٤ ط الثانية تحقيق شعيب الأرناؤوط ج ١ ص ٤٣٥

أَبِي يَزِيدَ عَنْ أَبِيهِ وَتَوَاتَرًا^(١)

هذا الحديث من جوامع كلم النبي ﷺ، فمع اختصاره يحوي عظام الأمور، ولذا كرر النبي ﷺ عبارة الدين النصيحة لتأكيد هذه المعاني في نفوس السامعين. قال النووي: وقيل النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب قال وقيل إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع شبهوا بتخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط قال ومعنى الحديث عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله الحج عرفة أي عماده ومعظمه عرفة.

وأما تفسير النصيحة وأنواعها فقد ذكر الخطابي وغيره من العلماء فيها كلاما نفيسا أنا أضمر بعضه إلى بعض مختصرا قالوا: أما النصيحة لله تعالى فمعناها منصرف إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها وتنزيهه سبحانه وتعالى من جميع النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبغض فيه وموالاته من أطاعه ومعاداة من عصاه وجهاد من كفر به والاعتراف بنعمته وشكره عليها والإخلاص في جميع الأمور والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة، والحث عليها والتلطف مع جميع الناس أو من أمكن منهم عليها قال الخطابي رحمه الله: وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه فالله تعالى غني عن نصح الناصح، وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى، فالإيمان بأن كلام الله تعالى وتنزيهه لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد من الخلق.

وتعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في

(1) رواه الترمذي: كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في النصيحة، برقم

١٩٢٦، وقال الألباني: صحيح.

التلاوة والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتبار بمواعظه والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته.

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به وطاعته في أمره ونهيه ونصرته حيا وميتا ومعاداة من عاداه وموالاته من والاه وإعظام حقه وتوقيره وإحياء طريقته وستة وبث دعوته ونشر شريعته ونفي التهمة عنها واستشارة علومها والتفقه في معانيها والدعاء إليها والتلطف في تعلمها وتعليمها وإعظامها وإجلالها والتأدب ثم قراءتها والإمساك عن الكلام فيها بغير علم وإجلال أهلها لانتسابها إليها والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة أهل بيته وأصحابه ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبئهم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتآلف قلوب الناس لطاعتهم قال الخطابي رحمه الله ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم وأن يدعو لهم بالصلاح وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات وهذا هو المشهور

وحكاه أيضا الخطابي ثم قال وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين وأن من نصيحتهم قبول ما روه وتقليدهم في الأحكام وإحسان الظن بهم. وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاية الأمر، فأرشادهم لمصالحهم في آخرتهم وديناهم وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلون من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل وستر عوراتهم وسد خللاتهم ودفع المضار عنهم وجلب

المنافع لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص والشفقة عليهم وتوقير صغيرهم لكبيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدكم وأن يحب لهم ما يجب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة وتنشيط همهم إلى الطاعات.

وقد كان في السلف رضي الله عنهم من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدينها والله أعلم هذا آخر ما تلخص في تفسير النصيحة

قال ابن بطال رحمه الله: في هذا الحديث أن النصيحة تسمى ديناً وإسلاماً، وإن الدين يقع على العمل كما يقع على القول قال: والنصيحة فرض يجزي فيه من قام به لبعض عن الباقي قال: والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه فإن خشي على نفسه أذى فهو في سعة . والله أعلم .

وروى أن جريراً أمر مولاه أن يشتري له فرساً فاشترى بثلاثمائة درهم وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة درهم قال: ذلك إليك يا أبا عبد الله فقال: فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم ثم لم يزل يزيده مائة مائة وصاحبه يرضى وجرير يقول فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها فقليل له في ذلك فقال: إني بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم والله أعلم^(١).

ومن الآثار التي تبين أهمية النصيحة للمسلمين:

ما رواه الطبراني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله

(1) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٧.

ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم^(١).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَسَمِعْتُهُ، وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(٢).

وروى أحمد عن حَكِيم بنِ أَبِي يَزِيدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «دَعُوا النَّاسَ يُصِيبُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا اسْتَنْصَحَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَنْصَحْهُ»^(٣).

وأما النصيحة لأئمة المسلمين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ اللَّهُ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تُعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا، وَأَنْ تُتَاصَحُوا مِنْ وَلَاءِ اللَّهِ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ»^(٤).

وأما نصيحة الولاة للعامة: فقد روى الشيخان عن الْحَسَنِ قَالَ: عَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُرْنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، قَالَ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ

(1) رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه عبدالله بن أبي جعفر الرازي ضعفه محمد بن حميد ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان.

(2) رواه مسلم: كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، برقم ٢١٦٢.

(3) رواه أحمد: مسند المكيين، من حديث ابن أبي زيد، برقم ١٥٠٢٩.

(4) رواه مسلم: كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل لغير حاجة...، برقم ١٧٥١،

وأحمد: في باقي مسند المكثرين، برقم ٨٥٨١ واللفظ له.

لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(١).

أقوال العلماء في فضل هذا الحديث:

قال أبو داود: الفقه يدور على خمسة أحاديث «الحلال بين والحرام بين»، وقوله ﷺ «لا ضرر ولا ضرار»، «أما الأعمال بالنيات»، «الدين النصيحة»، «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم».

قال الحسن: وقال بعض أصحاب النبي ﷺ: "والذي نفسي بيده أن شتم لأقسمن لكم بالله إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحبون الله إلى عباده ويحبون عباد الله إلى الله ويسعون في الأرض بالنصيحة"

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام وإننا أدرك عندنا بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للأمة"

وقال أيضا: المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير

وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد، وعظوه سرا حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه^(٢).

المبحث الخامس: التعليم بالحدث

تمهيد: المقصود بالتعليم بالحدث أن يبين المعلم لتلاميذه الصواب عند حدوث خطأ منهم، وهذا يحتاج إلى قوة ملاحظة المعلم وقدرته على تصحيح الخطأ بحكمة ورفق بحيث يحافظ على مشاعر من أمامه حتى لا ينفروا من تلك النصيحة

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، برقم ١٤٢ واللفظ له،

ورواه البخاري: كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، برقم ٧١٥٠، وانظر

تخريج هذه الروايات في جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ١١٦.

(٢) السابق ص ١٢١.

أو ذلك التوجيه .

والتعليم بالحدث منهج قرآني فكثيرا ما وقع الصحابة في أخطاء وينزل القرآن مصححا ومبيناً وجه الصواب في ذلك.

ومن ذلك مخالفة الرماة لأمر النبي - ﷺ - يوم أحد فقد نهاهم عن النزول من فوق الجبل حتى مع انتهاء المعركة ولكنهم خالفوا ونزلوا إلا قليلا منهم بقيادة عبد الله ابن جبير وانقلب النصر إلى هزيمة، ونزل القرآن معلما ومبيناً أن الهزيمة سببها المعصية قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَسِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۚ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران ١٥٢).

بل إن القرآن قد صوب للنبي ﷺ في بعض الأحداث كأمر الأسرى في بدر، وإذنه للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك وغير ذلك.

وقد يكون التعليم بالحدث لبيان الدرس والعبرة التي تستفاد من تلك الأحداث وذلك مثل ما قاله الله عز وجل على لسان يوسف عليه السلام لإخوته بعد أن أصبح عزيز مصر: ﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ۚ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۚ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف ٩٠).

والمتبع قصص الأنبياء في القرآن وأسباب نزول كثير من الآيات يلحظ هذا المنهج التعليمي واضحا جليا.

وقد سلك النبي ﷺ هذا النهج في كثير من المواقف والأحداث، ومن ذلك ما

يأتي:

١- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرًا فَتَرَخَّصَ فِيهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَكَأَنَّهُمْ كَرِهُوا وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَامَ حَظِييًا فَقَالَ: «مَا بَالُ رَجَالٍ بَلَغَهُمْ عَنِّي أَمْرٌ تَرَخَّصْتُ فِيهِ فَكَرِهُوا وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ! قَوْلَ اللَّهِ لَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»^(١)

هذا الحديث يشير إلى أن الدين يسر ولن يشاد الدين أحدا إلا غلبه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة ١٨٥)، وقد حثنا النبي ﷺ أن نيسر فقال «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُتَفَرَّوْا»^(٢)

والحديث الذي بين أيدينا يوضح لنا منهج النبي ﷺ في الأخذ باليسر قالت عائشة: "ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه فهو أبعد الناس منه"^(٣) وجاء تعليم النبي ﷺ في هذا الحديث إفادة من خطأ وقع فيه بعض أصحابه فبين وجه الخطأ فيه، ليتعلم الجميع الحكم الشرعي ولا يقعوا في مثل هذا الخطأ وكانت عادته ﷺ ألا يسمى أحدا بل يعمم فيقول: ما بال أقوام حفاظا على شعور الآخرين، لأن النصيحة على الملأ فضيحة.

قال النووي: قوله أن النبي ﷺ حمد الله تعالى وأثنى عليه فقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا هو موافق للمعروف من خطبه ﷺ في مثل هذا أنه إذا كره شيئا فخطب له ذكر كراهيته ولا يعين فاعله وهذا من عظيم خلقه ﷺ فإن المقصود من ذلك الحاضرون وغيرهم ممن يبلغه ذلك ولا يحصل توبيخ صاحبه في الملأ. ثم قال رحمه الله: وفي الحديث الحث على الاقتداء به ﷺ والنهي عن التعمق.

(١) صحيح مسلم باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته ٢٣٥٦ ج ٤ ص ١٨٢٩.

(٢) رواه البخاري: كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة، برقم ٦٩.

(٣) صحيح البخاري كتاب الأدب -، باب يسروا ولا تعسروا (٦١٢٦) ص ١١٨١

في العبادة وذم التنزه عن المباح شكا في إباحته وفيه الغضب عند انتهاك حرمت الشرع وإن كان المنتهك متأولا تأويلا باطلا، وفيه حسن المعاشرة بإرسال التعزير والإنكار في الجمع ولا يعين فاعله فيقال ما بال أقوام ونحوه وفيه أن القرب إلى الله تعالى سبب لزيادة العلم به وشدة خشيته، وأما قوله ﷺ: " فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية " فمعناه: إنهم يتوهمون أن سننهم عما فعلت أقرب لهم من الله وإن فعل خلاف ذلك وليس كما توهموا بل أنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية وإنما يكون القرب إليه سبحانه وتعالى والخشية له على حسب ما أمر لا بمخيلات النفوس وتكلف أعمال لم يأمر بها والله أعلم^(١).

ولكن من المشار إليهم في هذا الحديث؟

قال ابن حجر: " ولم أعرف أعيان القوم المشار إليهم في هذا الحديث ولا الشيء الذي ترخص فيه النبي ﷺ ثم وجدت ما يمكن أن يعرف به ذلك وهو ما أخرجه مسلم في كتاب الصيام من وجه آخر، عن عائشة أن رجلا قال: يا رسول الله إني أصبح جنبا وأنا أريد الصيام فاغتسل وأصوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «وإنا ندركني الصلاة وأنا جنب فأصوم» فقال: يا رسول الله إنك لست مثلنا قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فغضب رسول الله ﷺ وقال: «إني أرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي» ونحو هذا في حديث أنس المذكور في كتاب النكاح.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عيادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تكالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فإنني أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل

(1) شرح النووي ج ١٥ ص ١٠٧.

النِّسَاءَ فَلَا تُزَوِّجُ أَبْدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذًّا وَكَذًّا! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأُزَوِّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي سَتَيْ فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

ووقع في مرسل سعيد بن المسيب وعند عبد الرزاق أن الثلاثة المذكورين هم: علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون، وعند ابن مردويه من طريق الحسن العدني كان علي في أناس ممن أرادوا أن يحرموا الشهوات فنزلت الآية في المائدة، ووقع الواحدي بغير إسناد أن رسول الله ﷺ ذكر الناس وخوفهم فاجتمع عشرة من الصحابة وهم أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وأبو ذر وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد وسلمان وعبد الله بن عمرو بن العاص ومعلق بن مقرن في بيت عثمان بن مظعون فاتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا يقربوا النساء ويجبوا مذاكيرهم^(٢).

تنبيه: وعلى الرغم من أن الله نهى أن نزكي أنفسنا إلا أنه يجوز تزكية إذا دعت الضرورة لذلك كما فعل النبي ﷺ في هذه الأحاديث فبين أنه أعلم الناس بالله وأشدهم خشية له.

وكما زكى يوسف عليه السلام نفسه قال تعالى على لسان يوسف ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف ٥٥).

قال ابن الجوزي:

فإن قيل: كيف مدح نفسه بهذا القول ومن شأن الأنبياء والصالحين

التواضع؟

(1) صحيح البخاري كتاب النكاح ٤٧٧٦ ج ٥ ص ١٩٤٩

(2) الفتح ج ٩ ص ١٠٤

فالجواب أنه لما خلا مدحه لنفسه من بغي وتكبر وكان مراده به الوصول إلى حق يقيمه وعدل يحويه وجور يبطله كان ذلك جميلاً جائزاً^(١).

٢- عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَسَدِ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللَّثِيَّةِ - قَالَ عَمْرُو وَابْنُ أَبِي عُمَرَ: عَلَى الصَّدَقَةِ - فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا لِي أَهْدِي لِي. قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: «مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ فَيَقُولُ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أَهْدِي لِي! أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُّهُمَا إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ: بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خَوَارٌ، أَوْ شَاةٌ تُبْعَرُ» ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُقْرَتِي إِنْطَبَهَ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ» مَرَّتَيْنِ^(٢).

يبين هذا الحديث كيف كان النبي ﷺ يصحح ما يقع من خطأ وكان لا يكتفي أن يعلم صاحب الخطأ بل يتعدى ذلك إلى جمهور المسلمين ويعد هذا لونا من التعليم بالحدث، فهو في هذا الحديث يرى أن أحد أصحابه أساء التصرف وأخذ مالا لا يستحقه فتحين وقت صلاة الظهر وخطب الناس بعد الصلاة ووضح لهم هذا الخطأ دون أن يسمى صاحبه وبالع في الزجر واستعمل أسلوب التكرار، وقد سبق بيان كون التكرار أسلوبا من أساليب النبي ﷺ في تعليم أصحابه.

معاني الكلمات الواردة في الحديث:

أ- اللثبية فبضم اللام وإسكان التاء ومنهم من فتحها قالوا وهو خطأ ومنهم من يقول بفتحها وكذا وقع في مسلم في رواية أبي كريب قالوا وهو خطأ أيضا

(١) زاد المسير ج ٤ ص ٢٤٤.

(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب تحريم هدايا العمال ٤٦٥٦ ج ٣ ص ٤٧٧٠.

والصواب اللتبية بإسكانها نسبة إلى بني لتب قبيلة معروفة^(١)

وقال الحافظ اسم ابن اللتبية عبد الله واللتبية أمه

ب- رغاء بضم الراء وتخفيف المعجمة مع المد وهو صوت ذوات الخف وقد رَغَا البعير يرغو رُغَاءً بالضم والمد أي ضج.

ج - خوار بضم الخاء المعجمة وتخفيف الواو خَارَ الثور يخور خَوَارًا صاح.

د - تيعر على وزن تسمع وتضرب أي تصيح وتصوت صوتا شديدا.

هـ- عفرة إبطيه بضم العين المهملة وسكون الفاء وفتح الراء أي بياضهما المشوب بالسمرة^(٢).

المهدف التعليمي في الحديث:

في هذا الحديث بيان أن هدايا العمال حرام وغلول: لأنه المطلوب في ولايته وأمانته.

قال الخطابي: في قوله ﷺ ألا جلس في بيت أمه أو أبيه فينظر أيهدي إليه أم لا؟ دليل على أن كل أمر يتذرع به إلى محذور فهو محذور ويدخل في ذلك القرض يجز المنفعة والدار المرهونة يسكنها المرتهن بلا أجره والدابة المرهونة يركبها ويرتفق بها بلا عوض انتهى^(٣).

قال ابن قدامة: ولا يقبل هدية من لم يكن يهدي إليه قبل ولايته وذلك لأن الهدية يقصد بها في الغالب استمالة قلبه ليعتني به في الحكم فتشبه الرشوة قال مسروق: "إذا قبل القاضي الهدية أكل السحت وإذا قبل الرشوة بلغت

(1) شرح النووي ج ١٢ ص ٢١ ومختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ج ١

ص ١٥٠ و ٨٠ - ط دار الحديث القاهرة دت

(2) عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ج ٨ ص ١١.

دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥ هـ " الثانية.

(3) السابق ج ٨ ص ١١٦.

به الكفر".

ولأن حدوث الهدية عند حدوث الولاية يدل على أنها من أجلها ليتوسل بها إلى ميل الحاكم معه على خصمه فلم يجوز قبولها منه كالرشوة فأما إن كان يهدي إليه قبل ولايته جاز قبولها منه بعد الولاية، لأنها لم تكن من أجل الولاية لوجود سببها قبل الولاية بدليل وجودها قبلها^(١).

فائدة: وثمة قضية تثار في واقعنا المعاصر وهي أن كثيرا من الناس لا يأخذون حقوقهم أو لا يدفعون مكروها يقع عليهم إلا بإعطاء رشوة فهل على المعطي جناح أم أن الذنب يختص بالآخذ فقط والجواب لخصه ابن تيمية رحمه الله فقال: "فأما إذا أهدى له هدية ليكف ظلمه عنه، أو ليعطيه حقه الواجب كانت هذه الهدية حراما على الآخذ وجاز للدافع أن يدفعها إليه كما كان النبي يقول: أني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتابطها نارا قيل يا رسول الله فلم تعطيه؟ قال: "يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل"^(٢) ومثل ذلك إعطاء من أعتق وكرم عتقه أو أسر خبرا أو كان ظالما للناس فإعطاء هؤلاء جائز للمعطي حرام عليهم أخذه"^(٣)

(1) المغنى للإمام موفق الدين أبي محمد بن عبدالله بن أحمد بن قدامة ج ١٠ ص ١١٧ ط دار الفكر ط الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م

(2) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين، مسند أبي سعيد الخدري برقم ١٠٦٢١ بلفظ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَامِرٍ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ فَلَانًا وَقَلَانًا يُحْسِنَانِ الثَّنَاءَ يَذْكُرَانِ أَنَّكَ أَعْطَيْتَهُمَا دِينَارَيْنِ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَكِنَّ وَاللَّهِ فَلَانًا مَا هُوَ كَذَلِكَ لَقَدْ أُعْطِيَتْهُ مِنْ عَشْرَةِ أَلْفٍ مِائَةٍ فَمَا يَقُولُ ذَلِكَ، أَمَا وَاللَّهِ إِنْ أَحْنَكُم لِيُخْرِجَ مَسَائِلَتَهُ مِنْ عِنْدِي يَتَابَطُهَا سِعْيِي تَكُونُ تَحْتَ إِبْطِهِ - يَعْنِي نَارًا» قَالَ: قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تُعْطِيهَا لِإِيَّاهُمْ؟ قَالَ: «فَمَا أَصْنَعُ؟ يَأْبُونَ إِلَّا ذَلِكَ وَيَأْبَى اللَّهُ لِي الْبُخْلُ».

(3) فتاوى ابن تيمية لأحمد عبد الحلیم بن تيمية الحرانی أبو العباس ت: ٧٢٨ هـ ج ٣١ ص ٢٨٦، دار مكتبة ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي

وعلى هذا فإنه لا إثم علي من يعطي الرشوة لأخذ حقه إن لم يستطع أن يأخذه إلا بهذه الطريقة وعلى الأخذ الذنب

المبحث السادس: التعليم بالإشارة

تمهيد: للإشارة أثر كبير في ترسيخ المعلومة وتثبيتها في ذهن المتلقي، وقد أدرك العرب ما للإشارة من دور في بيان ما ينطق به اللسان، لذا نجدهم يستعملون إشارات في خطبهم وأشعارهم.

قال الجاحظ: كانت العرب تخطب بالمخاصر^(١) وتعتمد على الأرض بالقسي، وتشير بالعصى والقنا.

نعم حتى كانت المخاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها^(٢)

ثم بين في موضع آخر أن الإشارة إحدى خمس طرق للبيان، قال: "جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص بل تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صور صورة بائنة عن صورة صاحبها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقذارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار وعما يكون منها لغوا بهرجا وساقطا مطرحا.

فأما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد

(١) المخاصر: جمع مخرصة، وهي ما يختصره الإنسان فيمسكه بيده، من عصا أو مقرعة أو عكازة أو قضيب.

(٢) البيان والتبيين، أبو عثمان بن بحر الجاحظ - تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ج ١ ص ٣٧٠ - الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة الذخائر، رقم ٨٥ - ٢٠٠٣ م.

الشخصان، وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد رافع السيف والسطوط، فيكون ذلك زاجرا، ومانعا رادعا ويكون وعيدا وتحذيرا.

والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط، وبعد فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة، وحيلة موصوفة على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها. ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة، ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل في باب صناعة الكلام لفسرتها لكم. وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعورة ولم تتكلم
فايقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم^(١)

وقد أدرك النبي ﷺ وظيفة الإشارة في ترسيخ الفكرة وتوضيح الصورة فأكثر من استعمالها حتى صارت من الوسائل التعليمية في سنته، وهاك بعض الأحاديث التي تبين كيفية لجوء النبي - ﷺ - للإشارة كوسيلة تربية ناجحة.

١- عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ؟ قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسْرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ» قَالَ: ثُمَّ ثَلَا ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ (السجدة ١٦)، حَتَّى بَلَغَ :

(١) السابق ص ٧٦: ٧٨

﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة ١٩)، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا تَكَلَّمُ بِهِ! فَقَالَ: «تَكَلَّمَ أَمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وَجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(١).

هذا حديث جليل القدر عظيم النفع يحوي فوائد جمة، ويشتمل على كثير من مبادئ وأسس هذا الدين، ومن فوائده:

أ- حرص الصحابة على ما ينفعهم ولا سيما في أمور الآخرة وما يقربهم للجنة، فهي غايتهم، وما يباعدهم عن النار فهي مهرهم.

وفي رواية الإمام أحمد في حديث معاذ أنه قال: يا رسول الله إني أريد أن أسألك عن كلمة قد أمرضتني وأسقمتمني قال: سل عما شئت قال: أخبرني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك غيره، وهذا يدل على شدة اهتمام معاذ رضي الله عنه بالأعمال الصالحة، وفيه دليل على أن الأعمال سبب لدخول الجنة لا أسألك غيره وهذا يدل على أن اهتمام معاذ رضي الله عنه بالأعمال الصالحة، وفيه دليل على أن الأعمال سبب لدخول الجنة كما قال تعالى ﴿وَبَلَدًا آتَيْنَا الْأَوَّلِينَ﴾^(٢) كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿الزخرف ٧٢﴾.

ب - إن أمر الهداية والعمل بأوامر الله أمر يسير لمن سار على الطريق واهتدى بنور الإسلام، ولذا فقد قال النبي - ﷺ - ردا على معاذ: "وإنه ليسير على

(١) قال أبو عيسى هذا حديث صحيح سنن الترمذي كتاب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة

من يسره الله عليه " إشارة إلى أن التوفيق بيد الله عز وجل فمن يسر الله عليه الهداية اهتدى، ومن لم يسر عليه لم يسر له ذلك قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ وَأَمَّا مَنْ خَلَّ وَاسْتَعْنَى ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿ (الليل ٥-١٠).

ج- دل الحديث على فضل الصيام وأنه وقاية للمسلم في الدنيا من الشهوات، وفي الآخرة من النيران وذلك في قوله ﷺ وهو " الصيام جنة وحصن حصين من النار.

د- كما دل الحديث على مكانة الصدقة وكيف أنها تزيل آثار غضب الله عز وجل، يستفاد هذا من قوله - ﷺ -: والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار".
هـ- وقوله ﷺ: وصلاة الرجل في جوف الليل " يعني: أنها تطفى الخطيئة أيضا كالصدقة.

و- المقصود برأس الأمر فيعني بالأمر الدين الذي بعث به وهو الإسلام وقد جاء تفسيره في رواية أخرى بالشهادتين فمن لم يقر بهما باطنا وظاهرا فليس من الإسلام في شيء، وأما قوام الدين الذي يقوم به الدين كما يقوم الفسطاط على عموده فهي الصلاة، وفي الرواية الأخرى وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة في أركان الإسلام وارتباط بعضها ببعض، وأما ذروة سنامه وهو أعلى ما فيه وأرفعها فهو الجهاد وهذه يدل على أنه أفضل الأعمال بعد الفرائض كما هو قول الإمام أحمد وغيره من العلماء.

ز- ومن أعظم فوائد هذا الحديث أنه شدد على اللسان فجعله ملاك الأمر، ولذا استعمل فيه الإشارة لخطورة أمره وعظم شأنه.

قال ابن رجب في شرحه على هذا الحديث: " هذا يدل على أن كف اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كله، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه

وضبطه، وهذا المعنى في حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، وفي حديث " قل آمنت بالله ثم استقم: وخرجه البزار في مسنده من حديث أبي اليسر أن رجلا قال: يا رسول الله: دلني على عمل يدخلني الجنة قال: " أمسك هذا وأشار إلى لسانه " فأعادها عليه فقال: ثكلتك أمك هل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟ وقال إسناده حسن، والمراد بحصائد الألسنة جزاء الكلام المحرم وعقوباته، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع خيرا من قول أو عمل حصد الكرامة، ومن زرع شرا من قول أو عمل حصد غدا الندامة، وظاهر حديث معاذ يدل على أن أكثر ما يدخل الناس به النار النطق بألسنتهم، فإن معصية النطق يدخل فيها الشرك وهي أعظم الذنوب عند الله عز وجل ويدخل فيها القول على الله بغير علم وهو قرين الشرك، ويدخل فيها شهادة الزور التي عدلت الإشراك بالله عز وجل، ويدخل فيها السحر والقذف وغير ذلك من الكبائر والصغائر كالكذب والغيبة والنميمة، وسائر المعاصي الفعلية لا يخلو غالبا من قول يقترن بها يكون معينا عليها^(١).

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُحَاسِدُوا وَلَا تُتَاجَشُوا وَلَا تُبَاغَضُوا وَلَا تُدَابَرُوا وَلَا يَبِغْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، الثَّقَوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»^(٢).

الفوائد المستخلصة من الحديث:

(1) جامع العلوم والحكم ص ٢٧٥:٢٧٣

(2) صحيح مسلم ٢٥٦٤ ج ٤ ص ١٩٨٦ باب تحریم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وماله وعرضه

أ - تحريم التحاسد:

قوله لا تحاسدوا: الحسد: تمنى الشخص زوال النعمة عن مستحق لها أعم من أن يسعى في ذلك أو لا، فإن سعى كان باغياً، وإن لم يسع في ذلك ولا أظهر ولا تسبب في الكراهة التي نهى المسلم عنها في حق المسلم نظر، فإن كان المانع له من ذلك التقوى فقد يعذر لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسانية فيكفيه في مجاهدتها أن لا يعمل بها ولا يعزم على العمل بها^(١).

ب - تحريم النجش:

وقوله - ﷺ - ولا تناجشوا فسرّه كثير من العلماء: بالنجش في البيع وهو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها إما لنفع البائع لزيادة الثمن له أو بإضرار المشتري بتكثير الثمن عليه.

ج - تحريم التباغض:

قوله ﷺ " ولا تباغضوا " نهى المسلمين عن التباغض بينهم، فإن المسلمين جعلهم الله إخوة والإخوة يتحابون بينهم ولا يتباغضون. وقال النبي ﷺ: " والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم"^(٢).

د - تحريم التهاجر:

ومعناه كما قال الخطابي: لا تتدابروا فيهجر أحدكم أخاه مأخوذ من تولية الرجل الآخر دبره إذا أعرض عنه حين يراه، وقال ابن عبد البر: قيل للإعراض مدابرة لأن من أبغض ومن أعرض ولى دبره، والمحب بالعكس، وقيل معناه لا

(1) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٨٣

(2) مسلم كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان

وأن إقضاء السلام سبب لحصولها رقم ٥٤ ج ١/٧٤

يستأثر أحدكم على الآخر، وقيل للمستأثر مستدبر لأنه يولي دبره حين يستأثر بشيء دون الآخر.

هـ- تحريم بيع المسلم على بيع أخيه:

قوله ﷺ: "ولا يبيع بعضكم على بيع بعض"، وقد تكاثر النهي عن ذلك، ففي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "لا يبيع المؤمن على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه"، وفي رواية لمسلم "لا يسم المسلم على سوم أخيه ولا يخطب على خطبته" وخرجاه من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال "لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له" ولفظه لمسلم، وخرج مسلم من حديث عقبة بن عامر عن النبي - ﷺ - قال "المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر"^(١).

و- فضل الإخوة في الله:

من المعاني التي حرص عليها الإسلام الإخوة في الله، ولذا قال في هذا الحديث "وكونوا عباد الله إخوانا" بلفظ زاد مسلم في آخره من رواية أبي صالح عن أبي هريرة "كما أمركم الله" ومثله عنده من طريق قتادة عن أنس، وهذه الجملة تشبه التعليل لما تقدم كأنه قال إذا تركتم هذه المنهيات كنتم إخوانا ومفهومه إذا لم تركوها تصيروا أعداء.

ومعنى "كونوا إخوانا" اكتسبوا ما تصيرون به إخوانا مما سبق ذكره وغير ذلك من الأمور المقتضية لذلك إثباتا ونفيا، وقوله "عباد الله" أي يا عباد الله يجذف حرف النداء وفيه إشارة إلى أنكم عبيد الله فحكما أن تتأخوا بذلك.

ز- تحريم ظلم المسلم والتخلي عنه:

قوله ﷺ "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره" هذا

(1) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٨٣

مأخوذ من قوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) فإذا كان المؤمنون إخوة أمروا فيما بينهم بما يوجب تألف القلوب واجتماعها ونهوا عما يوجب تنافر القلوب واختلافها وهذا من ذلك.

وأيضا فإن الأخ من شأنه أن يوصل لأخيه النفع ويكف عنه الضرر، وهذا من أعظم الضرر الذي يجب كفه عن الأخ المسلم، وهذا لا يختص بالمسلم بل هو محرم في حق كل أحد، ومن ذلك خذلان المسلم لأخيه فإن المؤمن مأمور أن ينصر أخاه.

ح - حقيقة التقوى:

ولأهمية حقيقة التقوى وبيان المكان المركوز فيه هذه الحقيقة اهتم النبي ﷺ بأن يشير إلى صدره ليعلم أمته أن التقوى مكانها القلب حتى لا يظن أحد أن التقوى تعرف بالمظاهر والصور، فهي شيء مستقر في نفس العبد، وهي التي تحرك الجوارح والأعضاء، كما سيتبين لك من هذه السطور، ولذا جاءت الإشارة في هذا الحديث في هذا الموضع بصفة خاصة، فعلى الرغم من أهمية كل ما ورد في هذا النص النبوي إلا أن التقوى أهم عنصر على الإطلاق لأن بها يتحقق كل مأمور وينتهي عن كل منهي، وبعدمها لا يحدث هذا فقوله - ﷺ - " التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات " وفي رواية " إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم " معنى الرواية الأولى أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته.

ومعنى نظر الله ههنا: مجازاته ومحاسبته أي: إنما يكون ذلك على ما في القلب دون الصور الظاهرة، ونظر الله رؤيته محيط بكل شيء.

ومقصود الحديث: أن الاعتبار في هذا كله بالقلب وهو من نحو قوله ﷺ ألا إن في الجسد مضغة " الحديث.

قال المازري " واحتج بعض الناس بهذا الحديث على أن العقل في القلب لا

في الرأس وقد علم هذا جلياً في حديث " ألا إن في الجسد مضغة ^(١) . قال ابن رجب: " وقوله ﷺ التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات فيه إشارة إلى أن كرم الخلق عند الله بالتقوى، فرب من يحقره الناس لضعفه وقلة حظه من الدنيا هو أعظم قدراً عند الله تعالى ممن له قدر في الدنيا، فإنما الناس يتفاوتون بحسب التقوى كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات ١٣).

ط - تحريم تحقير المسلم:

قوله ﷺ: " بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم " يعني يكفيه من الشر احتقاره أخاه المسلم فإنه إنما يحقر أخاه المسلم لتكبره عليه والكبر من أعظم خصال الشر.

ي - تحريم مال المسلم ونفسه وعرضه:

قوله ﷺ: " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " وهذا مما كان النبي ﷺ - يخطب به في حجة الوداع يوم النحر ويوم عرفة ويوم الثاني من أيام التشريق ^(٢) .

الخاتمة

تم بحمد الله هذا العمل المتواضع ويمكن أن نستخلص منه بعض النتائج المهمة:-

- ١- قدرة النبي ﷺ على سلوك أفضل الطرق والوسائل لتعليم أصحابه رضوان الله عليهم فهو بذلك سابق لعلماء التربية المعاصرين.
- ٢- تنوع تلك الطرق والوسائل فمرة يكون بالمثل وأخرى يكون بطرح

(1) شرح النووي ج ١٦ ص ١٢١

(2) جامع العلوم والحكم ص ٣٣٧

السؤال وثالثة يكون بالقصة ورابعة بالتكرار وخامسة بالحدث وسادسة بالإشارة وغير ذلك من الوسائل فإنني لا أدعي إحاطتي بها.

٣- لم يكن النبي ﷺ يبالغ في استعمال هذه الوسائل مبالغة غيره فالأمثلة التي جاءت على لسانه ﷺ سهلة ميسورة الفهم لدى المتلقين بحيث خلت من الصور الفنية المعقدة والتراكيب المبالغ فيها.

وهكذا طرح السؤال لم يفرقه النبي ﷺ في بحر الغموض والإلغاز وهكذا في كل الوسائل.

٤- يتبين حرص النبي ﷺ على إرشاد أصحابه لما فيه نفعهم وتحذيره إياهم مما يضرهم في الدنيا والآخرة وصدق الله إذ يقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة ١٢٨).

٥ - يلاحظ حرص النبي - ﷺ - على مشاعر أصحابه ويتجلى ذلك عندما يصحح خطأ أحدهم فلا يذكر اسمه لأن اهتمامه يتمثل في النصيحة لا الفضيحة.

٦- أوصي الباحثين والدارسين أن يتناولوا سنة النبي - ﷺ - تناولاً يفيد واقعنا المعاصر ويبينوا ما في هذه السنة من كنوز وجمال وعظمة بحيث تستطيع أن تناسب ظروف كل عصر ومصر.

٧- على أن يكون اهتمامنا بالسنة الصحيحة الثابتة فيها ما يكفينا، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: كتب التفسير وعلوم القرآن^(١).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، من ٢٢٤-٣١٠، دار النشر دار الفكر مدينة النشر: بيروت، سنة النشر: ١٤٠٥.

(٢) أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، من ٣٠٥-٣٧٠، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، مدينة النشر: بيروت، سنة النشر: ١٤٠٥ اسم المحقق: محمد الصادق قمحاوي.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ولادة المؤلف: ٥٠٨ وفاة المؤلف: ٥٩٧ دار النشر: المكتب الإسلامي. مدينة النشر: بيروت، سنة النشر: ١٤٠٤ رقم الطبعة: الثالثة.

(٤) الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله، وفاة المؤلف ٦٧١، دار النشر: دار الشعب، مدينة النشر القاهرة، سنة النشر ١٣٧٢، رقم الطبعة: الثانية، اسم المحقق: أحمد عبد العليم البردوني

(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني، وفاة المؤلف: ١٢٥٠، دار النشر: دار الفكر، مدينة النشر: بيروت ثانياً: كتب الحديث وشروحه:

(٦) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، اسم المؤلف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، ولادة المؤلف، ١٢٨٣، وفاة المؤلف ١٣٥٣، دار النشر: دار الكتب العلمية، مدينة النشر: بيروت

(1) سيكون التفسير وفق الترتيب الزمني حسب وفاة المؤلف

- (٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، اسم المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، ولادة المؤلف: ٣٦٨، وفاة المؤلف: ٤٦٣، دار النشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، مدينة النشر: المغرب، سنة النشر: ١٣٨٧، اسم المحقق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكر
- (٨) الجامع الصحيح المختصر: لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ولادة المؤلف: ١٩٤، وفاة المؤلف: ٢٥٦، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة، مدينة النشر: بيروت، سنة النشر ١٤٠٧ - ١٩٨٧، رقم الطبعة: الثالثة اسم المحقق: د. مصطفى ديب البغا.
- (٩) الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ولادة المؤلف ٢٠٩، وفاة المؤلف ٢٧٩، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، مدينة النشر: بيروت، اسم المحقق: أحمد محمد شاكر وآخرون د.ت.
- (١٠) جامع العلوم والحكم: لأبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن أبي أحمد رجب عبد الرحمن البغدادي الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب ولادة المؤلف: ٧٣٦، وفاته ٧٩٥، دار النشر المكتبة التوفيقية القاهرة المحقق: عماد زكي البارودي
- (١١) سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، اسم المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير، ولادة المؤلف: ٧٧٣، وفاة المؤلف: ٨٥٢، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، مدينة النشر: بيروت، سنة النشر: ١٣٧٩، رقم الطبعة: الرابعة، اسم المحقق: محمد عبد العزيز الخولي
- (١٢) سنن البيهقي الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ولادة المؤلف: ٣٨٤، وفاة المؤلف: ٤٥٨، دار النشر: مكتبة دار الباز مدينة النشر: مكة المكرمة، سنة النشر ١٤١٤ - ١٩٩٤، اسم المحقق: محمد عبد القادر عطا.

١٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، اسم المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، وفاة المؤلف، ٣٥٤، دار النشر: مؤسسة الرسالة مدينة النشر: بيروت، سنة النشر: ١٤١٤ - ١٩٩٣، رقم الطبعة: الثانية اسم المحقق: شعيب الأرناؤوط.

١٤) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (٢٤٩٣)، ص ٤٧١ دار الأفكار الدولية للنشر

١٥) صحيح مسلم بشرح النووي، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ولادة المؤلف: ٦٣١، وفاة المؤلف: ٦٧٦، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، مدينة النشر: بيروت، سنة النشر: ٣٩٢، رقم الطبعة: الثانية.

١٦) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ولادة المؤلف ٢٠٦، وفاة المؤلف ٢٦١، دار النشر: دار إحياء التراث العربي مدينة النشر: بيروت، اسم المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٧) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع ج ١ ص ٣٧٥ دار صادر بيروت

١٨) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، اسم المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ولادة المؤلف: ٥١٠ ، وفاة المؤلف: ٥٩٧ ، دار النشر: دار الكتب العلمية ، مدينة النشر: بيروت، سنة النشر: ١٤٠٣ ، رقم الطبعة: الأولى اسم المحقق: خليل الميس .

١٩) عون المعبود شرح سنن أبي داود، اسم المؤلف: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ، دار النشر: دار الكتب العلمية ، مدينة النشر: بيروت سنة النشر: ١٤١٥ ، رقم الطبعة: الثانية

٢٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري، اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ولادة المؤلف: ٧٧٣، وفاة المؤلف: ٨٥٢، دار النشر: دار المعرفة، مدينة النشر: بيروت، سنة النشر: ١٣٧٩ - اسم المحقق: محمد فؤاد

عبدالباقي، محب الدين الخطيب

(٢١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، اسم المؤلف: علي بن أبي بكر الهيثمي وفاة المؤلف: ٨٠٧، دار النشر: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي مدينة النشر: القاهرة، بيروت، سنة النشر: ١٤٠٧.

(٢٢) مسند الإمام أحمد ج ٦ ص ٢٥٧ مؤسسة قرطبة مصر د. ت واللفظ من تذكرة الحفاظ لمحمد بن طاهر القيسراني ت ٥٠٧ ج ٣ ص ١٠٥٦ دار الصميعي الرياض ١٤١٥ ط الأولى، تحقيق حمدي عبد المجيد اسماعيل السلفي

ثالثا: كتب الفقه وأصوله:

(٢٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي أبو عبد الله، ولادة المؤلف: ٦٩١، وفاة المؤلف: ٧٥١ دار النشر: دار الجيل، مدينة النشر: بيروت، سنة النشر: ١٩٧٣ اسم المحقق: طه عبد الرؤوف سعد.

(٢٤) الروض المربع شرح زاد المستنقع، لمنصور بن يونس البهوتي، المطبعة السلفية، ومكتبتها بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٣٥٢هـ.

(٢٥) شرح فتح القدير: لكمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام الحنفي، ومعه تكملة شرح فتح القدير، المسمى بتتائج الأفكار: لقاضي زادة، طبعة دار الفكر، بيروت لبنان، (د. ت).

(٢٦) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، اسم المؤلف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، ولادة المؤلف: ٦٦١، وفاة المؤلف: ٧٢٨ دار النشر: مكتبة ابن تيمية، اسم المحقق: عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (٢٧) المغني: للإمام موفق الدين أبي محمد بن عبد الله بن أحمد بن قدامة طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

رابعا: كتب المعاجم وكتب اللغة:

(٢٨) إعلام الموقعين عن رب العالمين، اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب
الدمشقي أبو عبد الله، ولادة المؤلف: ٦٩١، وفاة المؤلف: ٧٥١ دار النشر: دار
الجيل، مدينة النشر: بيروت، سنة النشر: ١٩٧٣ اسم المحقق: طه عبد الرؤوف
سعد.

(٢٩) البيان والتبيين، أبو عثمان بن بحر الجاحظ - تحقيق وشرح عبد السلام محمد
هارون - الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة الذخائر، رقم - ٢٠٠٣ م.

(٣٠) لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد منظور الأفريقي المصري، طبعة
دار صادر، بيروت ١٤١٢هـ، ١٩٩٢ م.

(٣١) مختار الصحاح: للإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، طبعة دار الحديث
القاهرة د.ت